سِلسلَةُ تَقرِيبِ المتُونِ العِلمِيَّةِ مُتُونُ التَّزكِيَةِ رَقَم 6

الوَسَائِلُ المُفِيدَةُ لِلحَيَاةِ السَّعِيدَةِ

لِلشَّيخِ عَبدِ الرَّحمَن بنِ نَاصِر السِّعدِي
(1307- 1376 هـ)

ويليها

القَصِيدَةُ

نَظمُ الوَسَائِلِ المُفِيدَةِ لِلحَيَاةِ السَّعِيدَةِ

لِلشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ نَجَاحِ آل طَاجِن

تقديم
الشَّيخ عزّ الدِّين رَمضَاني

اعتَنَى بِهَا

أبو عبد الرحمن اسماعيل بن عمر الجزائري

○قَالَ ابنُ القَيِّمِ:

اللهُ سُبحانه وتَعَالَى المَسؤُولُ المَرجُوُّ الإجابَةَ أَن يَتولَّاكُم فِي الدُّنيَا وَالآخِرةِ..،

وأَن يَجعَلَكُم مِمَّن:

إِذَا أَنعَمَ اللهُ عَليهِ؛ شَكَرَ.

وَإِذَا ابتُلِيَ؛ صَبرَ.

وَإِذَا أَذنَبَ؛ استَغفَرَ.

فَإِنَّ هَذِهِ الأُمُورَ الثَّلاَثة هِيَ عُنوانُ سَعادةِ العَبدِ.

الوابل الصيب صفحة 5 ط/ دار عالم الفوائد.

تقديم الشَّيخ عزّ الدِّين رَمضَاني[1] ـ حفظه الله ورعاه ـ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله وحده والصَّلاةُ والسَّلام على مَن لا نبيَّ بَعده.

فهذه المجموعة المباركة مِن سِلسلة؛ **" تقريب المُتون العِلمية "** لمُعدِّها والمعتَني بها الأخ الفاضل؛ طالبُ العلم النَّجيب[2]: أبو عبد الرَّحمن اسماعيل بن عمر الجزائري، جُهدٌ يَنضاف إلى حلقات طُلاَّب العِلم، ودُرَّة ثَمينة لِمَن رامَ الطَّلَب والتَّحصِيلَ على أُسسٍ مَتِينةٍ، وقَواعدَ رَاسخَةٍ، ومَفاهِيمَ مُؤصَّلَةٍ، وسَبيلٍ واضِحةٍ، وَفقَ مَنهجٍ مُحقَّقٍ وعِلمٍ مُدَقَّقٍ، تَسيرُ بِصاحِبِها فِي رَكب أئمَّة السُّنَّةِ ودُعاةِ الحَقّ والهُدى.

وقد اجتَهدَ الأخُ الفاضلُ ـ حفظَه الله ـ في إخراجها في صورةٍ بَهيَّة خطًّا وتَشكيلاً، حَيثُ اعتَمدَ على بعضِ النُّسخِ الخَطِّيَّةِ مع إثباتِ نِسبَتِها إلى صاحِبِها، وقد أبانَ عن مَنهَجِه في العمل على ذلكَ المَتنِ أوِ النَّظم، ويَجدُ القارئ لِبَعض هذهِ المُتونِ نَظماً مُوافقاً للمَنثُورِ، لِتَقرِيب الفَنِّ وتَدريبِ الطَّالب على تَرسيخِ مَعلُومِه وضَبطِ مَحفُوظِه.

واللهَ الكَريمَ أسألُ أَن ينفعَ بِهَا مُعِدَّها وَقارِئِها وحَافِظَهَا وشَارِحَها ومُوزِّعَهَا، وكُلَّ مَن أَعانَ على نَشرِهَا وأَسهَمَ فِي تَعمِيمِ الفَائدةِ بِهَا، إنَّه سُبحانه جوادٌ كَرِيمٌ.

وصَلَّى الله وسلَّم وباركَ على نَبيِّنا مُحمَّد وعلَى آلِه وصَحبِه.

وَكتَبَ

أبُو عبدِ اللهِ عزّ الدِّين رَمضَاني

عشيَّة الأَحد 02 من ذي الحجة 6341 هـ

المُوافِق لـ 4 من أكتوبر سنة 5102 م

---

1 شيخنا الفاضل ارتبط بالعلم والدعوة وارتبطت به، حتى أصبح فيها وبها أشهر من نار على علم، شيخ في الخطابة والتدريس، وشيخ في التعليم والتربية، وشيخ في الأدب والخلق، وشيخ في المنهج والاعتقاد، وشيخ في التفسير وعلومه، والحديث وفنونه، والفقه أصوله وفروعه.. زاده الله علما وعملا ودعوة، ورزقنا الانتفاع منه وبه، وإنا معاشر الطلبة في حقه لمقصرون، فالأدب الأدب رعاكم الله مع مشايخنا في القول والفعل، عند حضورهم وحال غيابهم، فذلك من بركة العلم وأثر تعظيم أهله.

2 هذا من حسن ظن الشيخ بي وإلا فالله يعلم أني ضعيف في الطلب، ضعيف في العمل، ضعيف في الدعوة.. والله أسأل أن يتجاوز عني وعن كل مقصر، وهذا أقوله بيانا لحقيقة الحال ومعرفة بقدر التفريط والتقصير وليس تواضعا أو تورعا...

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونَستعِينه ونستَغفِره، ونعوذُ باللهِ مِن شُرور أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هَادي له .

وأشهدُ أنّ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء، الآية: 1].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 102].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: 70، 71].

أمّا بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، و خيرَ الهدي هديُ محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، وشرَّ الأمور محدثَاتُها وكلَّ محدثةٍ بدعة، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

فإنَّ ممَّا لا شكَّ فيهِ و لا ريبَ أنَّ السَّعادة هي مَنشودةُ كلِّ إنسانٍ،

ومَخطُوبُ كلِّ ذِي حُسنٍ وعِرفانٍ، فَجمِيع النَّاس يَنشُدونَ السَّعادة ويَرجُونهَا، فهي غايَتُهم ومُنَاهم، وهي دَيدَنُهم ونَجوَاهم.

ولكِن كيفَ يُظفَرُ بِالمطلوبِ ويُتحصَّلُ على المَرغُوبِ؟

تَفاوتَت أفهامُ النَّاس في ذلك، وتغايَرت سُبُلهم فكلٌّ في طريقٍ سَالكٌ؛

بَعضُهم يبحث عن السَّعادة في جمعِ المال، واستحواذِه مِن كافَّة الوُجوهِ، ويَرى أنَّ السَّعيد مَن كَثُر مَاله.

و بَعضُهم يَبحث عنها في اللَّهو واللَّعب، وشَغلِ الأَوقاتِ وإِضَاعتِها فيما لا نَفعَ فيه.

و بعضُهم يبحثُ عنها في ارتكاب المحرَّمات وارتياد المُنكراتِ، مِن شرب خَمرٍ وزِنـاً

و سماعِ آلاتِ لهوٍ وغناءٍ وغيرِ ذلك.

و بَعضُهم يَبحَثُ عَنها فِي..

و بَعضُهم..الكُلُّ يَنشُد ويَبحَثُ.

كَثُرة هُمومُهم، وعَظُمَت غُمومُهُم، وأُشرِبَت بِالأحزانِ قُلوبُهُم.

ولكِن كيفَ الحُصولُ على السَّعادة؟

إنَّ الله عزَّ وجلَّ خالقُ هذا الكونِ ومُوجِدُه شاءَ وقدَّر أنَّ السَّعادة لا تكونُ إلاَّ فِي سُلوكِ طَرِيقِه و اتِّباعِ هُداه،وأنَّ الشَّقاءَ لِمَن عصاهُ وأعرضَ عن ذِكرِهِ وهُدَاه.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [سُورةُ طَه، الآية: 123 ـ 127].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سُورةُ النَّحْلِ، الآية: 97].

فَهَدَى اللهُ المؤمنِينَ للسَّعادةِ، وحقَّق لَهُم طِريقَ الخَلاصِ والنَّجاةِ، وجَنَّبَهم طَريقَ الضَّنكِ والشَّقاءِ وذلِكَ فضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يشاءُ واللهُ ذو الفَضلِ العظِيمِ.[1]

هَذَا وَإنَّ" **مِمَّا يَنبَغِي الِاعتِناءُ بِهِ عِلماً ومَعرِفةً وقَصداً وإرادَةً:**

العِلمُ بأنَّ كلَّ إنسانٍ بل كلَّ حيوانٍ إنَّما يَسعى فِيمَا يُحصِّل لَه اللَّذَّةَ والنَّعيمَ وطِيبَ العَيشِ، ويَندَفِعُ بِهِ عَنهُ أَضدَادُ ذَلِكَ.

وهَذا مَطلوبٌ صَحِيحٌ يَتضَمَّن سِتَّةَ أُمورٍ:

1. **أَحَدُها: مَعرِفَةُ الشَّيءِ النَّافِعِ لِلعَبدِ المُلائِمِ لَه، الَّذي بِحُصُولِهِ لَذَّتُه وفَرَحُهُ وَسُرُورُه وطِيبُ عَيشِهِ.**
2. **الثَّانِي: مَعرِفَةُ الطَّرِيقِ المُوصِلةِ إِلَى ذلكَ.**
3. **الثَّالثُ: سُلُوكُ تِلكَ الطَّرِيقِ.**
4. **الرَّابِعُ: مَعرِفةُ الضَّارِّ المُؤذِي المُنَافِرِ الَّذِي يُنَكِّدُ عَلَيهِ حَيَاتَه.**
5. **الخَامسُ: مَعرِفَةُ الطَّرِيقِ الَّتِي إِذَا سَلَكَهَا أَفضَت بهِ إِلَى ذَلِكَ.**
6. **السَّادسُ: تَجَنُّبُ سُلُوكِهَا.**

فَهَذِهِ سِتَّةُ أُمورٍ لاَ تَتِمُّ لَذَّةُ العَبدِ وسُرورُهُ وفَرَحُه وَصَلاحُ حَالِهِ إلاَّ بِاستِكمَالِهَا، ومَا نَقَصَ مِنهَا عادَ بِسُوءِ حَالِهِ وتَنكِيدِ حَيَاتِهِ... "[2]

" إِذَا عرفتَ هذِهِ المُقَدِّمَة؛

1 من مقدمة الشيخ عبد الرزاق البدر لتحقيقه للكتاب صفحة 5 ـ 6.

2 رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه طبعة دار عالم الفوائد صفحة 28.

فاللَّذةُ التَّامَّةُ، وَالفَرحُ وَالسُّرُورُ وطِيبُ العَيْش إِنَّمَا هُو فِي: مَعرِفةِ اللهِ وتَوحِيدِهِ وَالأُنسِ بِهِ وَالشَّوقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَاجتِمَاعِ القَلبِ وَالهمِّ عَلَيهِ. "[1]

وَهذِهِ الرَّسالةُ الَّتي بَينَ يَديكَ قد أَوضَحَ فِيهَا مُؤلِّفُها، طُرُقَ السَّعادة وسُبُلَها، وبَيَّنَ طُرُقَ تلافِي الهُمومِ والغُمُومِ والأَحزَان.

فَهِيَ عَلَى صِغرِ حَجمِها عَظِيمٌ نَفعُها، وَالحاجَةُ مَاسَّةٌ إِلَيهَا لِكُلِّ إنسانٍ، لاَسيما فِي هذِهِ الأزمانِ الَّتي كَثُرت فيهَا الفِتنُ وعَظُمَت فِيهَا المِحَنُ.[2]

- **وَعَمَلِي المُتَواضِع على هذه الرِّسالةِ الطَّيِّبَةِ يَتَمثَّلُ فِي:**

1. ضَبطِ نصِّ الرِّسَالَةِ بِمُقَابَلتِها على عِدّةِ نُسخٍ مَطبوعةٍ دُونَ إثباتِ الفُروقِ الضّئيلةِ الوَاقعةِ بَينَ النُّسخِ حتَّى لا أُثقِّل الحواشِي بما قد تكونُ فائدتُه قَلِيلَةٌ.
2. تَقسيمِ نصِّ الرِّسَالَةِ إِلَى فقراتٍ مُتباينةٍ، مَعَ تَرقِيمِ أَسبابِ السَّعَادَةِ الَّتِي عَدَّدَهَا الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ بِحَسَبِ مَا ظَهَرَ لِي وَهُوَ أَمرٌ قَابِلٌ لَلزِّيَادَةِ وَالنَّقصِ بِحَسَبِ نَظَرِ القَارِئِ المُتَأمِّلِ لَكِنَّ المَقصُودَ مِن ذَلِكَ التَّقرِيبُ وَالتَّيسِيرُ لاَ التَّدقِيقُ وَالتَّحرِيرُ فَمَقَامُ ذَلِكَ الشَّرحُ وَالتَّوضِيحُ.
3. تَشكيلِ النَّصّ تَشكِيلاً أظنُّه تَامًّا، لِتَقرِيبِ هذِه الرسالةِ لِعَامَّة المُسلِمِينَ، فَعَدمُ تَشكِيلِ النَّصِّ يَحُولُ- فِي أَكثرِ الأَحيانِ- بينَ الكتُبِ وبينَ استِفادةِ النَّاسِ مِنها.
4. وَضعِ مُقدّمةٍ مُوضِّحةٍ لمنهَجِ التَّحقيقِ.
5. وَضعِ تَرجمةٍ مُوجَزةٍ لِصَاحبِ الرِّسالةِ فَهُوَ أَشهَرُ مِن أَن يُعرَّفَ بمِثلِهِ.
6. وضعِ تَعرِيفٍ بِالرِّسالَةِ يُبيِّنُ مَوضُوعَهَا، وَيُقرِّبُ مَرَامَهَا، بِأَلطَفِ عِبَارةٍ وَأقربِ إِشَارةٍ، مَعَ الاِعتِناءِ كَما هُو دَائما الحَالُ فِي هذِهِ السِّلسِلَةِ " **تَقرِيبُ المُتُونِ العِلمِيَّةِ** " بِبَيَانِ طَبَعَاتِهَا وشُرُوحَاتِ وأَعمالِ أهلِ العلمِ عَليهَا.. و مَا يَتبَعُ ذَلِكَ ويَلحَقُه مِمَّا لاَ غِنَى لِطَالِبِ العِلمِ عَنهُ فِي سَيرِهِ لِطَلبِ العِلمِ ورَفعِ الجَهلِ.. وكنت بصدد إيراد بعض التَّعليقاتِ عليها، خصوصاً مِن كلام ابنِ سعدي مِن بعض كتبه، لكِن رأيت أنَّ الأحرى بذلك هو الشَّرح يسَّر الله تعالى إتمامَه وتبييضه[3].

والله مِن ورَاءِ القَصدِ ولاَ حَولَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ.

كَتبَهُ:

أَبو عبدِ الرَّحمن إسماعيل ابنُ عمر الجزائري

عشيَّة يوم الإثنين 14 من رمضان سنة (1435) هـ.

بحي عين النعجة، الجزائر العاصمة.

khabatousmail@gmail.com

1 رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه طبعة دار عالم الفوائد صفحة 32.

2 من مقدِّمة الشَّيخ عبد الرزَّاق البدر لتحقيقه للكتاب صفحة 6.

3 الموسوم بـ: " **التَّوضيحات السَّدِيدَة بشرحِ الوسَائلِ المُفِيدةِ للحياةِ السَّعيدةِ** ".

التَّعرِيفُ بِالمُؤَلِّــــفِ
وَ المُؤَلَّـــــــــــــفِ

التَّعرِيفُ بِالمؤلِّف[1]

1 استفدتها ونقلتها بأكملها من مقدِمة الشَّيخ محمد بن عبد العزيز الخضيري ـ حفظه الله تعالى ـ في تحقيقه لكتاب " **منهج السالكين** " للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السِّعدي ـ رحمه الله تعالى ـ صفحة 17 ـ 27 مع تصرف فيها بالزِّيادة والنُّقصان.

• اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله، عبد الرَّحمن بنُ ناصر بنِ عبدِ اللهِ بنِ ناصرٍ بنِ حَمَد آل سِعدِي، مِن نَواصِرِ بَنِي تَمِيم.

• نَشأَتُهُ:

وُلِدَ في عُنَيزَةَ (1307/1/12)[1]، وتُوفِّيت والِدتُه وعُمرُه أربعُ سِنِين، ثمَّ تُوفِّي والِدُه وعُمرُه سَبعُ سَنواتٍ، فَنَشأَ يَتِيمَ الأَبوين.

وكَفَلَتْهُ زوجَةُ وَالِدِه، وأَحبَّتهُ كَثيراً، فلمَّا شبَّ صارَ فِي بيتِ أخِيهِ الأَكبَر: حَمَد، الَّذي دَفَعَ به إلى حَلقاتِ العلمِ، وكَفَاهُ مَؤُونَة العيشِ.

أمَّا والِدُه فقد كان حَافظاً للقرآن، مُحبّاً للعلمِ وأهلِه، مَشهوراً بِالبذلِ والإحسانِ، وكان يَقرأُ على النَّاسِ الكُتُبَ النَّافعةِ أدبارَ الصَّلواتِ، ويَنوبُ عن إمامِ المسجدِ وخطيبِه.

وأمَّا أُمُّه فهِيَ مِن آل عثيمين، مِن الوهبة.

نَشأَ الشَّيخُ نشأةً صالحةً؛

حَفِظَ القرآنَ ولم يتجاوز الثَّانية عشرة مِن عُمرِه، ثم انصرفَ إلى طلبِ العلمِ وتحصيلِه بِهِمَّةٍ عَالِيَةٍ على شُيوخِ بَلَدِهِ، وغيرِهِم مِمَّن وَفَدُوا علَيهَا، ومِن أبرزِهم:

1 ـ إبراهيم بن حمد بن جاسر (ت1338).

2 ـ إبراهيم بن صالح بن عيسى (ت1343).

3 ـ صالح بن عثمان القاضي (ت1351).

4 ـ صعب بن عبد الله التويجري (ت1339).

5 ـ عبد الله بن عايض العويضي الحربي (ت1322).

6 ـ علي بن محمد السناني (ت1339).

7 ـ علي بن ناصر أبو وادي (ت1361).

8 ـ محمد الأمين محمود الشنقيطي (ت1351).

9 ـ محمد بن عبد العزيز بن مانع (ت1385).

10 ـ محمد بن عبد الكريم الشبل (ت1343).

وقد **أُعجِب به مَشَايِخُه؛ لِذَكَائِه ونُبلِه واستقامتِه، وحِرصِه على الطَّلبِ مع سُمُوِّ أخلاقِه.**

---

1 جميع التواريخ المذكورة إنَّما هي بالتاريخ الهجري القمري، وهو الأصل عند المسلمين، ولذا لم أضع رمز(هـ) بعدها.

وكان يَحفَظ كثِيراً من المُتونِ عن ظهرِ قلبٍ، وإذا استَشهَدَ بها لم يُغنِه الاِستِشهَاد، يَهُذُّها هذًّا؛ لأنَّه كان يَتعَاهَدُها دائماً.

وقد تأثَّر الشَّيخ كثيراً بمدرسة الشَّيخين: شيخِ الإسلام ابنِ تَيميَة، وتِلميذِه ابنِ القيِّم، فقرأ كُتُبَهُمَا، ولخَّصها، وشرحَها، وحثَّ الطلاَّبَ على قِراءتِها، وبدا أثرُ تَتلمُذِه على مؤلَّفاتِها واضحاً في كلامِهِ واختِيارَاتِهِ الفِقهيَّة، وطريقة استِنبَاطِه، وتحرُّرِه مِن رِبقَةِ التَّقليدِ، وحِرصِهِ على اتِّباعِ الدَّليل.

• أَعمَالُهُ وتَعلِيمُهُ:

لَّما ظهر نُبوغُ الشَّيخِ وهو في رَيعانِ الشَّباب صارَ أقرانُه يَرجِعونَ إليهِ، ويَستفِيدونَ مِنهُ، ولـمَّا بلغَ الثَّالثة والعِشرين مِن عُمُره جلسَ للتَّدريسِ مع عَدمِ انقِطاعِهِ عنِ الطَّلب، ومِن عام (1350) صَارَ مَرجِعَ النَّاس في بلدِه في التَّدريسِ والفُتيا، وأصبحَ عليه المعوَّل في أخذِ العُلوم.

مِن تلامِيذِهِ:

1 ـ إبراهيم بن عبد العزيز الغُرير (ت1401).

2 ـ إبراهيم بن محمد العامود (ت1394).

3 ـ حمد بن إبراهيم القاضي (ت1395).

4 ـ حمد بن محمد البسام.

5 ـ حمد بن محمد المرزوقي.

6 ـ سليمان بن إبراهيم البسام (ت1377).

7 ـ سليمان بن محمد الشبل (ت1386).

8 ـ صالح بن عبد الله الزغيبي إمام المسجد النبوي (ت1372).

9 ـ عبد العزيز بن علي بن مساعد (ت1411).

10 ـ عبد العزيز بن محمد السلمان، صاحب المؤلَّفات المشهورة (ت1422).

11 ـ عبد الله بن عبد الرحمن البسَّام، عضو هيئة كبار العلماء، ومجمع الفقه الإسلامي.

12 ـ عبد الله بن عبد العزيز الخضيري (ت1393).

13 ـ عبد الله بن عبد العزيز العقيل، عضو مجلس القضاء الأعلى سابقاً(ت1432).

14 ـ علي بن حمد الصالحي (ت1415).

15 ـ علي بن زامل آل سليم (ت1418).

16 ـ محمد بن سليمان البسام.

17 ـ محمد بن صالح الخزيم (ت1394).

18 ـ محمد بن صالح العثيمين، أشهر تلاميذ الشيخ، وعضو هيئة كبار العلماء (ت1421).

19 ـ محمد بن عبد العزيز المطوع (ت1387).

20 ـ محمد بن عثمان القاضي.

21 ـ محمد بن منصور الزامل (ت1413).

وغيرهم كثيرٌ، رَحِمَ اللهُ الميّت، ومَتَّع ونفعَ بالحَيّ.

ومع هذِه المُهِمَّة الأساس كان يَقومُ بِأعمالٍ جَمَّةٍ:

كإمامةِ الجامع.

والفُتيا.

وكتابةِ الوثائقِ، وتحريرِ الأوقافِ والوصَايَا، وعقودِ الأنكِحةِ.

وكان مُستَشاراً أَمِيناً لِكلّ مَن استشارَه واستَنصَحه، ولم يَكن يأخُذ على شَيءٍ مِمَّا كان يَعمَلُه شيئاً مِن حُطَامِ الدُّنيا.

كَما كان أحدَ المُساهمين في تَأسيسِ المكتبةِ الوَطَنِيَّة بعُنَيزَة عام (1359)، وتأمينِ المراجعِ العِلميَّة؛ لِتكُونَ في مُتناولِ الطَّلبةِ.

كما قام بالإشرافِ على المعهدِ العِلميّ بِعُنَيزة لَمَّا افتُتِح عام (1373)، وقد عُيِّن له راتبٌ شَهرِي مقابل إشرافِه، فتَركَه الشَّيخُ احتِساباً.

كما عُرِض عليهِ القضاءُ عام (1360)، فامتَنَع تَورُّعاً وحِرصاً على عدمِ الالتِزام بِعمَلٍ رسميّ يُشغِلهُ عنِ العلمِ والتَّعلِيم، وكُرِّر عليه العَرضُ مِراراً فلم يَقبَل.

أمَّا عن تنظِيمِه لوقتِهِ، فقد كان يجلسُ أربعَ جَلساتٍ في اليومِ، حيثُ كان يُصلِّي الفجرَ بِالنَّاسِ ثمَّ يجلسُ لأداءِ الدَّرسِ حتَّى تطلع الشَّمس، ويَذهبُ بعدَ ذلكَ إلى بَيتِهِ حتَّى ارتفاعِ الضُّحى، ثمَّ يعودُ إلى المسجدِ ليُدَرّس الطَّلبة فنُوناً مُتنوّعة على تَرتيبٍ اختَارَه الشَّيخُ، ويَستَمرُّ حتَّى صلاةِ الظُّهرِ، فيُصلِّي بالنَّاسِ، ثمَّ يعودُ إلَى بَيتِهِ إلى صلاةِ العصرِ.

وبعدَ صَلاةِ العصرِ يُلقي دَرساً في بعضِ ما يُهِمُّ النَّاسَ مَعرِفته مِن دِينِهم في بِضعِ دَقائِق، وبعد صلاةِ المغربِ يُلقِي على طُلاَّبِه درساً حتَّى يُصلِّيَ العشاءَ، وذلكَ كلَّ يومٍ.

وكان مِن هديِهِ مع طُلاَّبِهِ:

أنَّه يَستشيرهُم فِي الكتابِ الَّذي يُرِيدُون قِراءَته.

ويَعقِدُ المُناظراتِ بَينَهم لإحياءِ التَّنافسِ في الطَّلَب، وتَرسِيخِ المسائلِ في الذِّهنِ.

ويَطرحُ عَلَيهِم المسائلَ لِيستَخرجَ مِنهم الجوابَ.

وأحياناً يتعمَّد تَغليطَ نَفسِهِ ليَعرِفَ المُنتَبِه والفَاهمَ مِن بين الحُضورِ.

وقد يُصوِّر المسألةَ الخِلافيّة بين الطَّالِبَينِ، كلٌّ واحدٍ يتبنَّى قَولاً ويُدافِعُ عَنهُ، ثُمَّ يُرجِّحُ الشَّيخُ القَولَ الصَّحِيحَ بالدَّليلِ أو التَّعليلِ.

وكان كَثِيراً ما يَطلُبُ مِن التَّلاميذِ إعادةَ مَا فَهِمُوه مِن الدَّرسِ، ولم يَكن يُغفِلُ في بدايةِ الدَّرسِ مُناقشةَ الطَّلبة فيما أخذُوه في الدَّرس السَّابقِ، ممَّا يدفَعُهُم به إلى الإستِذكَارِ والمُراجَعةِ.

وكان ـ رحمه الله ـ يُخصِّصُ المُكافآتِ لَهُم تَشجِيعاً على طَلَبِ العِلمِ، وإعانةً لَهُم على العَيشِ.

• صِفَاتُهُ الخِلْقيَّة والخُلُقِيَّة:

كان الشَّيخ قصيرَ القَامةِ، مُمتلِئَ الجِسمِ، أَبيضَ اللَّونِ، مُشـرَباً بِالحُمرَة، مُدورَ الوَجهِ، طَلْقَهُ، كثَّ اللِّحيةِ ـ بَيضاءَ ـ قد ابيضَّت مَع رَأسِهِ وهُو صَغِيرٌ، ووجهُه حَسَن، عليهِ نُورٌ في غايةِ الحُسنِ، وصفاءِ اللَّونِ.

أمَّا أخلاقُه؛ فكان آيةً في مَكارمِ الأخلاقِ، أوفَى فيها على الغايَةِ، وله اليدُ الطُّولَى ـ بفضلِ اللهِ ـ في كلِّ سَجِيَّةٍ؛ لا يَكادُ يُشقُّ له غُبارٌ في هَذا الميدانِ؛

مَعَ مَا أُوتِيَه مِن التَّواضُعِ الجَمِّ للصَّغيرِ والكَبيرِ، والقَريبِ والبَعيدِ.

والزُّهدِ في الدُّنيا، والإعراضِ عنها مَعَ إقبَالِهَا إليهِ، عُرِضت عليهِ المناصبُ فأبَاهَا، وأقبلَت عليهِ الدُّنيَا فنفاهَا.

وكان ـ رحمه الله ـ:

كثيرَ الحجِّ، عَفِيفاً، عزيزَ النَّفسِ مع قِلَّة ذاتِ يدِه، يُسلِّم على الصَّغيرِ والكبيرِ، يُجيبُ الدَّعوة، ويَعودُ المرضى، ويُشيِّع الجنائز، تستوقفُه العَجُوزُ والطِّفلُ الصَّغير فيَقضِي حَوائِجَهم، ويُجيبُ مسَائِلَهم، وكان يُكلِّم كلَّ إنسانٍ بما يُصْلِحه ويَصلُحُ لَه، أوتي قدرةً عَلَى حَلِّ المعضلاتِ الَّتي تَحِلُّ بالنَّاس بيُسرٍ وسُهُولَةٍ، وعلى فضِّ المُنَازعاتِ بِذكاءٍ وحِنكةٍ.

قال تِلمِيذُه الشيخ عبد الله البسَّام: له أخلاقٌ أرقُّ مِنَ النَّسيمِ، وأعذَبُ مِنَ السَّلسبيلِ، **لا يُعاتِبُ على الهَفوةِ، ولا يُؤاخِذُ بِالجَفوةِ، يَتودَّدُ ويَتحبَّبُ إلَى البَعيدِ والقَريبِ، يُقابِل بِالبشَاشةِ، ويُحيِّي بالطَّلاقة، ويُعَاشِر بِالحُسنى، ويُجالِسُ بِالمُنَادمةِ، ويُجاذِبُ أطرافَ الحديثِ بالأُنسِ والودِّ، ويَعطِفُ على الفقيرِ والصَّغيرِ، ويَبذلُ طَاقته ووُسعَه، ويُساعِدُ بِمَالِهِ وجَاهِهِ وعمَلِهِ ورأيِهِ ومَشُورتِه ونُصحِهِ، بِلسَانٍ صادقٍ، وقَلبٍ خَالِصٍ، وسِرٍّ مَكتُومٍ.**

كما كان جَرِيئاً في الحَقِّ، نَاصِحاً لِلخَلقِ، لا تَأخذُه في اللهِ لَومَةُ لَائِمٍ، نَحسبُه كذلك واللهُ حَسِيبُه، ولاَ نُزكِّي عَلَى اللهِ أَحداً.

وقد مدَحَهُ واصِفُوه؛ بقوَّةِ الحافِظَةِ، وسُرعَةِ الاستِحضارِ، ودِقَّةِ الاستِنباطِ، وسُهولَةِ المَأخذِ، وصَفَاءِ القَرِيحَة، وحُضورِ البَدِيهَة، وحُسنِ الصَّوت، ممَّا جعلَ لِأَحَادِيثِه ومُحَاورَاتِه وقعاً في قُلُوبِ الخَلقِ، حَمَلَهم عَلَى محبَّتِهِ والثِّقَةِ به، ومَنْ قَرأ كُتُبَه عرفَ أنَّ وراءهَا فَحْلاً مِن فُحُولِ العلمِ.

وكَان مِن شدَّة حِرصِه على نفعِ الخلقِ، ونَشرِ العلم، ودَعوةِ النَّاسِ يُكثِرِ الاجتماعِ بالنَّاسِ؛ لا يَنقَطِعُ عن زِيارتِهِم في بيُوتِهِم، ومُشاركَتِهِم في مُناسَبَاتِهِم، مَع دُعابة لا تُسقِطُ مِن حُرمته، ولا تُخِلّ بوقَارِه، مع ما كان عليه مِن شِدَّة الحبِّ والرَّحمةِ للفُقرَاءِ، خُصوصاً مِن طلاَّبِ العلمِ؛ حِرصاً منه على تفريغِهِم له، وقَطعِ مَا يُشغِلُهم عنهُ، مِن الكَسبِ والكَدِّ.

وكَان يَستَمِعُ إلى نُصحِ النَّاس واقتراحاتِهم، ويأخذُها مَأخذَ الجِدّ، ويتقبَّلها بصَدرٍ رَحب، جاءه أحدُ الصَّالحين فأشارَ عليه بأن يَضعَ مُكبِّرَ الصَّوتِ في المسجدِ؛ ليَسمعَ النَّاسُ النِّداءَ والخُطبَة بِلاَ عَناءٍ، وبيَّن له فوائِدَ هذا الصَّنيعِ، فَشرحَ اللهُ صدرَ الشَّيخ، وشَكرَ النَّاصِحَ، ووعدَه أن يتمَّ ما اقترحه خلال الأسبوع، فكان الشَّيخ أوَّلَ مَن أدخل هذا الجِهازَ إلى مساجِد بلدِه.

يقرُّ له بالفضل مَن كان مُنصِفاً　　　　إذا قَالَ قَولاً كَان بِالقَولِ أَمثلاَ

وقد حُدِّثْتُ أنَّ **أحدَ تَلاميذِه رآه بعد مَوتِهِ، فسألَه عمَّا صنَعَ اللهُ بِهِ؛ فبشَّر بِخَيرٍ، وقال له: بِمَ نِلتَ ذلك؟ فقال: بِحُسنِ الخُلُق.**

فهَنِيئاً له، فليس في مِيزان المُؤمِنِ شيءٌ أثقلُ يومَ القيامَةِ مِن حُسنِ الخُلُقِ، كَما أخبرَ النَّبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم[1].

● من مُـؤَلَّـفـاتُـهُ :

عُنِيَ الشَّيخ بالتَّأليف، وتقريبِ العُلومِ للعامَّة والخاصَّة، وقد أُلِينَت له الكِتابَةُ، وذُلِّلَ له التَّصنيفُ، فلم يكن مُتكلِّفاً في هَديِهِ كُلِّه، ولا في تَآليفِه، ومَنْ طَالع كُتُبَه تعَجَّب مِن سُهولَةِ عِبَارته، وقُربِ مَأخذِه، وفخَامَةِ المَعَانِي الَّتِي يَحومُ حولَها، ويُرِيدُ تقرِيرَهَا، ولم يُشغِل نفسَه في شَيءٍ مِن فُضولِ العِلمِ وزَغَلِه، ممَّا لا يُحتاجُ إليه في فهمِ الإسلامِ، والسَّيرِ إلى الملكِ العلاَّم، وقد نَيَّفَت مؤلَّفاتُه على الأربعينَ كِتاباً، ما بَينَ كَبِيرٍ في مجلَّداتٍ، وصَغِيرٍ في ورقَاتٍ.

ومِـــــن أَهَـمِّـــــــهَا:

1 ـ **تَيسِيرُ الكرِيمِ الرَّحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنّان،** أشهرُ كتبِ الشَّيخ، وقد كتبَهُ قبلَ بُلوغِه الأربعين، ويقع في (8) مجلَّدات، وطُبِع مؤخَّراً في مجلَّد واحد، بتحقيق الدُّكتور: عبد الرَّحمن اللُّويحق.

2 ـ **القواعد الحسانُ لتفسيرِ القرآنِ**[2].

3 ـ **تيسيرُ اللَّطِيفِ المنَّانِ في خلاصة تفسير القرآن.**

---

1 رواه أحمد في المسند (27496)، والترمذي (2003) وقال: حديث غريب من هذا الوجه، والبخاري في «الأدب المفرد» (270)، **عن أبي الدّرداء** - رضي الله عنه- أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال: [**ما مِن شيءٍ أثقلُ في الميزان مِن حُسنِ الخُلُق**] وصححه الألباني كما الصحيحة برقم (876) وصحيح الأدب المفرد.

2 وهو ضمن مشروعي في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون " أصول التفسير وقواعده ".

4 ـ **بهجةُ قلوبِ الأبرارِ وقُرَّة عُيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، وهو في الحديث.

5 ـ **القولُ السَّديدُ في مقاصدِ التَّوحيدِ.**

6 ـ **سؤالٌ وجوابٌ في أهمّ المهمَّات.**

7 ـ **التَّوضيحُ والبيانُ لشجرة الإيمان.**

8 ـ **الدُّرَّة البهيَّة شرح القصيدة التَّائيَّة في حلِّ المُشكلة القَدَرية.**

9 ـ **الحقُّ الواضحُ المُبين في شرح توحيدِ الأنبياءِ والمرسلينَ مِن الكافيةِ الشَّافيةِ.**

وهذه الخمسةُ كلُّها في العقيدةِ.

10 ـ **منهجُ السَّالكين وتوضيحُ الفِقه في الدِّين.**

11 ـ **المختاراتُ الجليَّة في المسائلِ الفِقهيَّة.**

12 ـ **الإرشادُ إلى معرفةِ الأحكام.**

13 ـ **المنَاظراتُ الفِقهية.**

14 ـ **نورُ البصائرِ والألبابِ في أحكامِ العباداتِ والمعاملاتِ والحقوقِ والآدابِ.**

وهذه كلُّها في الفِقه.

15 ـ **القواعدُ والأصولُ الجامعةُ، والفروقُ والتَّقاسيمُ البديعةُ النَّافعةُ**[1].

16 ـ **رسالةٌ لطيفةٌ جامعةٌ في أصولِ الفقهِ المُهِمَّةِ**[2].

17 ـ **تُحفَةُ أهلِ الطَّلبِ في تجريدِ قواعدِ ابنِ رَجَب.**

وهذه في أصول الفقه وقواعده.

18 ـ **الرِّياضُ النَّاضرةُ والحدائقُ الزَّاهرةُ في العقائِدِ والفنونِ المتنوّعة الفَاخرة.**

19 ـ **الخُطب المنبريَّة.**

20 ـ **الوسائلُ المفيدةُ للحياةِ السَّعيدةِ**، وهي المقصودَة بالاعتناءِ في هذا الكتابِ.

وهذه كلُّها في مَحَاسنِ الإسلامِ وقضايَا المُسلِمينَ.

---

1 وهي ضمن مشروعي في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون " القواعد الفقهية ".

2 وهي ضمن مشروعي في سلسلة تقريب المتون العلمية؛ متون " أصول الفقه ".

21 ـ **الفَتاوى السَّعدية** (وقد جُمِعت بعد وفاته).

22 ـ **طريقُ الوصولِ إلى العلمِ المأمولِ بمعرفةِ القواعدِ والضَّوابطِ والأُصولِ**، ضمَّنه (1015) فائدة وقاعدة وضابطاً مِن كلامِ شيخِ الإسلامِ وتلميذِه ابن القيِّم.

23 ـ **التَّعليقُ وكشفُ النِّقابِ على نظمِ قواعدِ الإعرابِ**.

24 . **منظومةٌ في السَّيرِ إلى اللهِ والدَّارِ الآخرةِ**، وله تعليقٌ لطيفٌ عليها.

وكانت للشَّيخِ عنايةٌ بالنَّظْمِ والشِّعرِ، وبعضُ ما سبق مِن كتبه منظوماتٌ، وقد نيَّفت منظومته في الفقهِ على (400) بيت، وقد نظمها في مقتبل عُمُرِه، وله منظومة في القواعدِ الفِقهية في (47) بيتاً، نظمَها وهو لم يتجاوز الرَّابعة والعشرين مِن العُمُر، وله أشعارٌ جَميلة، ومرَاثٍ مؤثِّرة، وأبياتٍ طَريفَةٍ.

وقد طُبِعَت كُتُب الشَّيخ مجموعةً في (16) مجلَّداً، تولَّى جمعها وطبعها: مركزُ ابن صالح في الجمعية الصَّالحية بعُنيزة.

وطبِعَت مُؤخَّرا عن مؤسسة العُنُود الخيريَّة طبعة فاخرة في(26) مجلداً مع إضافةِ مؤلَّفاتٍ أخرى للشَّيخ باعتناءِ ثُلَّة مِن أهلِ العلمِ الأفاضل..، ويا لهف قلبي لتحصيلها فإنَّ لي بها حاجة عسى الله أن يبلِّغني إيَّاها.

• وفـاتـه:

أُصيبَ الشَّيخُ في آخرِ حيَاته بمرَضِ ضغطِ الدَّم، فكان لابدَّ لِعلاجِه مِن السَّفر خارجَ البلادِ، وقد أرسَلت الدَّولةُ السُّعوديةُ طائرةً خاصَّة نقلته إلى بيروت، فعُولِج بها، وبقيَ هناك قُرابة الشَّهرين حتَّى شَفاه الله، وذلك عام (1372)، ثم عاد إلى عُنَيزَة، وأعاد جميعَ أعماله الَّتي كان يُزاولها، رغم نَهي الأطبَّاءِ له عن الإجهادِ، ممَّا كان له أثرٌ على مُعاودَة الضَّغطِ.

وفي ليلةِ الأربعاءِ 1376/6/22 بعد أن صلَّى العِشاء في الجامع الكبيرِ في عُنيزَة، وبعد أن أملَى الدَّرس المعتاد على جَماعة المسجد أحسَّ بثِقَلٍ وضَعفِ حَركة، فأشار إلى أحدِ تلامِيذِه بأن يُمسك بيدِه ويَذهَب به إلى بيتِه، ففعلَ لكنَّه أُغمي عليهِ فورَ وصُولهِ البيت، ثم أفاقَ وطمأن الحَاضرين على صحَّتِه، ثمَّ عاد إليه الإغماء فلم يتكلَّم بعدها حتَّى ماتَ، وفي الصَّباح دَعَوا له الطَّبيبَ، فقرَّر أنَّ نزيفاً في المخِّ قد حصَل له، فأبرَقوا لوليِّ العهد، فأصدر أمراً بإسعافِه بالطَّائرةِ، لكن حالَ دون نزولها السَّحابُ الكثيف والمطرُ الغزير، وعادت مرَّة أخرى صبيحةَ الخميس لعلَّها تـتمكَّن مِن الهبوط، لكنَّها تلقَّت نبأ وفاتِه وهي في الجوِّ فعادت أدراجَها.

وكانت وفاتُه قُبيل فجر الخميس 1376/6/23، عن (69) عاماً قَضَاها في العلمِ والتَّعليمِ والدَّعوةِ والتَّأليف والتَّوجيه والإرشاد.

وقد صُلِّي عليه بعد ظهر ذلك اليوم صلاةً لم تَشهد عُنَيزَةُ لها مَثِيلاً مِن قبل، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنَه الفردوس الأعلى مِن جنَّاته.

وقد رُئي مرَّاتٍ كثيرة، وترَكت وفاتُه فراغاً هائلاً في نفوسِ أهلِ بلده وفي نفوسِ المسلمين، وعرَف النَّاسُ بموتِه كم هِيَ الأعمال الَّتي كان يَقومُ بها، والأعباء الَّتي كان يتحمَّلها، وصدقاتِ السِرِّ الَّتي كان يتَعاهدُ بها فُقرَاءَ بَلدِه، فلِلَّهِ درُّه مَا أعظمَ أثرَه على النَّاس، وما أحسنَ خبرَه فيهم.

ما مات مِن نشرِ الفَضيلَة والتُّقى   وأقامَ صَرحاً أُسُّه لا يُكسَرُ [1]

[1] هذه الترجمة ملَّخصة من ترجمة الدكتور عبد الله الطيار الَّتي دبّجَ بها كتابه: « فقه الشيخ السِّعدي »، ومِن مقدِّمة الشيخ محمد بن سليمان البسام لكتاب «التَّعليق وكشف النقاب»، مع زيادات أخرى، وللاستزادة ينظر في ترجمته: «علماء نجد» (422/2)، و«روضة النَّاظرين» (220/1)، وكتاب: «سيرة العلاَّمة السِّعدي»، ومقالاً للعدوي في مجلة الجامعة الإسلامية، السنة الحادية عشرة، العدد الرابع (ص205)، و«مشاهير علماء نجد» (ص396)، ودراسات مفصلة عن السَّعدي، مقالات للدكتور عبد الله بن محمد الرّميان في جريدة الجزيرة، أعداد شهر شوال 1421، ومقدمات مؤلفات الشيخ، ففيها تراجم مختلفة مِن طُلاَّبه ومُحبِّيهِ.

التَّعرِيفُ بِالمُؤَلِّـفِ

✓ بيانُ اسمِه ومَعنَـــــاه:

○ الوَسَائلُ:

هِيَ الطُّــرقُ وَالسُّـبُلُ المُوصِـلةُ إلى المَقصُودِ، وهِيَ هُنا؛ تِحـقيقُ السَّـعادةِ فِي الدُّنيا والآخِرةِ.

○ المُفيدَةُ:

أيِ الَّتي تُعطِي فَائدةً نَافعةً.

فَالمَقصـودُ مِن الوسَائِلِ هُو؛ المُفيدُ مِنها فَحسب، وهَذا قَيدٌ يَخرجُ بِهِ؛ الوسَائلُ الضَّارَّةُ والَّتي لَيسَت بِضَارةٍ لكِنَّها لاَ تُوصلُ إلى المَطلوبِ وَالمَرغُوبِ وَلاَ تَدفعُ المَرهُـوبَ فَهَذِه كلُّها لَيسَت بِنافعةٍ.

○ للحَياةِ:

و المَعنَى؛ الوسائلُ المُفيدَةُ لِتَحصيلِ أسبَابِ الحياةِ السَّعِيدةِ.

الحَيَاةُ؛

لُغةً: ضدُّ الموتِ والحيُّ ضدُّ المَيّتِ، والحيُّ مُضطرِبٌ مُتحرّكٌ وَالمَيّتُ ساكِنٌ غَيرُ مُتحرّكٍ، والحيُّ كلُّ مُتَكلّمٍ نَاطقٍ، وَالحيُّ مِنَ النَّباتِ مَا كانَ طَرِيًّا يَهتَزُّ.

اصطِلاحاً: لَها اعتِبَارَانِ؛

1ـــ **الحَيَاةُ الحِسّيَّةُ**؛ فَهِيَ اتِّصَـالٌ وارتِبَـاطٌ لِلـرُّوحِ بِالـبَدنِ فِي عالمِ الدُّنيَا وعَالَمِ الآخِرةِ على هَيئَةٍ وصِفَةٍ قَدَّرهَا اللهُ تعَالى وخَلقَهَا.

أمّا فِي عَالَمِ الدُّنيا؛

قَالَ سُبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ **حَيَاةً** طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ، الآية: 97]، فالمَقصُــــود بِالحياةِ هُنا حياةُ الدُّنيا.

أمّا فِي عَالَمِ الآخِرةِ؛

قال سُبحانه: ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ **لِحَيَاتِي** ﴾ [سُورَةُ الفَجْرِ، الآية: 24]، أمّـا المَقصُودُ بِالحياةِ هُنا فَهِيَ حياةُ الآخِرةِ.

2ـــ **الحَياةُ المَعنَوِيّةُ**؛ فَهِي حَرَكَةٌ فِي القَلبِ والجَوارحِ بِالإيمَانِ والعَملِ الصَّالحِ.

قال تَعالَى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا **فَأَحْيَيْنَاهُ** وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سُـــورَةُ الأَنْعَامِ، الآية: 122].

وقال تعالى: ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ **أَحْيَاءٍ** وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ، الآية: 21].
وقال سبحانه: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي **الْأَحْيَاءُ** وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ، الآية: 22].
وقال سبحانه: ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ **حَيًّا** وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سُورَةُ يس، الآية: 70].

وَالحيَاةُ بِاعتِبارِ العَالَمِ الَّذي تَكُونُ فِيهِ حَياتَانِ:

1ـ حَياةِ الدُّنيا:

وهِيَ اتِّصالٌ وارتِباطٌ لِلرُّوحِ بِالبدنِ فِي عالَمِ الدُّنيا على صِفةٍ وهَيئةٍ خاصَّة قَدَّرها الله تعالى وخلَقها، فَمَن حقَّق السَّعادة الحقِيقة فِي الحياةِ الدُّنيا بتوفيقِ اللهِ وعونِه، رَزقَه اللهُ تعالَى السَّعادَة الأَبدِيَّة التَّامَّة فِي جَنَّتِه ودارِ رِضوانِه.
وهذَا الَّذي قصدَ الشَّيخ بيانَه وتوضيحَه وتقريره، مَع تقديرِ أنَّ تحقيقَ السَّعادة فِي الدُّنيا بِاتِّباعِ طَرِيقِ الإِسلاَمِ، سَبِيلٌ إِلَى السَّعادةِ الأَبَدِيَّةِ فِي دارِ السَّلامِ.

2ـ وَحَياةِ الآخِرَةِ:

وهِي اتِّصالٌ وارتِباطٌ لِلرُّوحِ بِالبَدنِ فِي عَالَمِ الآخِرةِ عَلى صِفةٍ وهَيئةٍ خَاصَّة قَدَّرها اللهُ تَعالَى وخَلَقَها ـ أكملُ مِن ارتِباطِها فِي حالِ الدُّنيا ـ.
قال سُبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ **أَحْيَاءٌ** عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الآية: 169].
وسَمَّاها اللهُ تعالى بـ " الحيوان "مُبالغةً فِي بيانِ أنَّها الحياةُ التَّامَّة الكامِلةُ مِن كلِّ الوُجوهِ، الدَّائِمَةُ الَّتِي لا تزولُ ـ بعد العدم ـ.
وقال سبحانه: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ **الْحَيَوَانُ** لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سُورَةُ العَنْكَبوتِ، الآية: 64].
و" الحيوان " أبلغُ مِن " الحياةِ " لِمَا فِي بناءِ " فعلان " مِن الحَركَةِ وَالِاضطِرَابِ اللاَّزمِ لِلحياةِ، وَالحيوانُ فِي الجَنَّةِ، والحياةُ فِي الدُّنيا[1].
وقَال تعالَى: ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ **لِحَيَاتِي** ﴾ [سُورَةُ الفَجْرِ، الآية: 24].
وهِي الحياةُ العَظِيمَة التَّامَّة الكامِلة الَّتي؛ يَنشُدُ المُسلِمُ فِيهَا تَحقِيقَ السَّعادةِ العُظمَى وَالرَّاحةِ القُصوى.

○ السَّعِيدَة:

السَّعادةُ مُشتَقَّة مِن " سعد " السِّينُ والعَينِ والدَّال: أصلٌ يَدلُّ على خَيرٍ وسُرُورٍ خِلاف النَّحس فَالسَّعد اليُمنُ فِي الأمر[2].
فَالسَّعيدُ هُو: الَّذي نالَ الخيرَ؛ مِن دفعِ المَرهوبِ وحُصولِ المَرغوبِ.
والسَّعادةُ خِلافُ الشَّقاوةِ قال تعالَى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [سُورَةُ هُودٍ، الآية: 105].

---

1 المفردات للراغب الأصفهاني268، الكليات للكفوي (265/2).
2 معجم مقاييس اللغة لابن فارس (75/1).

وقال جلَّ في عُلاه: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [سُورَةُ هُودٍ، الآية: 108].

وقال سُبحانه: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [سُورَةُ هُودٍ، الآية: 106].[1]

فَأَهلُ السَّعادةِ الحَقِيقِيَّةِ التَّامَّةِ الكَامِلةِ الدَّائِمَةِ الَّتي نالَ أَصحَابُها الخَيرَ كلَّه ـ بَعد العَدمِ ـ هُم أهلُ الجَنَّةِ.

وعَلَيهِ فَبِمِقدَارِ تَحقِيقِ العَبدِ في الدُّنيا لِصفَاتِ وَأعمَالِ أهلِ الجَنَّة، الَّتي بِهَا وَصَلُوا إِلَى الجَنَّةِ بَعدَ رَحمةِ الله لَهُم وَتَوفِيقِه إِيَّاهُم، بِذَلكَ تَتحقَّقُ سَعَادَتُه الدُّنيويَّة؛ الحِسِّيَّة وَالمَعنَوِيَّة.

وَهَذا مُرادِ شَيخِ الإِسلامِ مِن قَولِه؛ " **فِي الدُّنيَا جَنَّةٌ مَن لَم يَدخُلها لَم يَدخُل جَنَّةَ الآخِرةِ** ".

وَهُو مُرادُ قَولِ إِبرَاهِيمَ بنِ أَدهَم؛ " **لَو يَعلَمُ الملُوكُ وَأَبناءُ الملُوكِ مَا نَحنُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالسُّرُورِ لَجَالَدُونَا عَلَيهِ بِالسُّيوفِ** ".

وَقَولِ الآخَرِ؛

إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوقَاتٌ أَقُولُ؛ إِن كَانَ أَهلُ الجَنَّةِ فِي مِثلِ هَذَا إِنَّهُم لَفِي عَيشٍ طَيِّبٍ.

فَهَذَا حالُ أهلِ السَّعادةِ فِي الدُّنيا، وَمعَ مَا هُم فِيهِ مِن السَّعادةِ والطُّمأنِينَةِ وَالعيشِ الهَنِيءِ إلاَّ أنَّ نِسبةَ ذلِكَ إِلى حَالِهِم في دارِ النَّعِيمِ كَنِسبَةِ صَاحبِ الغَمِّ العَظِيمِ وَالهمِّ الدَّائمِ المُقِيمِ إِلَى صَاحبِ النَّعِيمِ العَظِيمِ وَالسَّعادةِ الدَّائِمَةِ.

كَمَا فِي الحَدِيثِ: " **الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ وجَنَّةُ الكَافِرِ** "[2].

والحَدِيثِ الآخَر: " إِذَا حَضَرَ المُؤمِنُ أَتَتهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحمةِ بِحَرِيرةٍ بَيضَاءَ...فَيَأتُونَ بِهِ أَروَاحَ المُؤمنِينَ، فَلَهُم أَشَدُّ فَرحاً بِهِ مِن أَحَدِكُم بِغَائِبِه يَقدُمُ عَلَيهِ، فَيَسأَلُونَه مَاذَا فَعلَ فُلانٌ مَاذَا فَعلَ فُلانٌ، فَيَقُولُونَ؛ **دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنيَا**..[3].

أ/ـ مِن نَعِيمِ أَهلِ الجَنَّةِ النَّفسِيِّ المَعنَوِيِّ:

1ـ نَزعُ مَا فِي صُدُورِهِم مِن غِلٍّ نِعمَةً مِنَ اللهِ ومِنَّةً؛

قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ ، الآية: 43]. وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ، الآية: 47].

2ـ إِذهَابُ الخَوفِ و الحُزنِ عَنهُم إِلى الأَبدِ مَع البُشرَى لَهُم بِمَا يَسرُّ ويَفرِح؛

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ، الآية: 34].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ، الآية: 30].

3ـ يُلهَمُونَ التَّسبِيحَ والحَمدَ والتَّكبِيرَ لِمَحبُوبِهِم؛

فَعَن جَابرِ بنِ عبدِ اللهِ قَالَ:

قَالَ رَسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم "يَأكُلُ أهلُ الجَنَّةِ فِيهَا وَيَشرَبُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُون وَلاَ يَمتَخِطُون وَلاَ يَبُولُونَ، وَلَكِن طَعَامُهم ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشحِ المِسكِ. يُلهَمُونَ التَّسبِيحَ والحَمدَ، كَمَا يُلهَمُونَ النَّفَسَ".

"وَيُلهَمُونَ التَّسبِيحَ وَالتَّكبِيرَ، كَمَا يُلهَمُونَ النَّفَسَ"[4].

---

1 فائدة؛ قُدِّم الشَّقيُّ على السَّعيدِ في هذِه الآياتِ لأنَّ المقامَ مقامُ إِنذارٍ ووَعِيدٍ وتَحذِيرٍ.

2 رواه مسلم (2956).

3 رواه النسائي (1833)، وهو في السلسلة الصحيحة (1309).

4 رواه مسلم (2835).

ب /ــ مِن نَعِيم أَهلِ الجَنَّةِ البَدَنِيِّ المَادِّيِّ:

1ـ الأَزواجُ والظِّلالُ والأَرائِكُ الَّتي يَتَّكِئُون علَيها؛

قـال تـعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [سُورَةُ يس، الآية: 55ـ56].

2ـ خُرُوجُ المَأكَلِ والمَشربِ مَن أَبدَانِهِم بِأَطيبِ الرَّوائِحِ؛

فَعَن جَابرِ بنِ عبدِ اللهِ قَالَ:

قَالَ رَسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ "يَأكُلُ أهلُ الجَنَّةِ فِيهَا وَيَشرَبُونَ، وَلاَ يَتغَوَّطُونَ وَلاَ يَمتَخِطُون وَلاَ يَبُولُونَ، وَلَكِن طَعَامُهم ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشحِ المِسكِ.[1]

3ـ النِّعَمُ الدَّائِمَةُ والثِّيَابُ الجَدِيدَة الدَّائمَة والشَّبابُ الأَبدِيُّ؛

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه:

عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: "مَن يَدخُلِ الجَنَّةَ يَنعَمُ لاَ يَبأَس، لاَ تَبلَى ثِيَابُهُ وَلاَ يَفنَى شَبَابُهُ".[2]

4ـ العَافِيةُ الدَّائِمَةُ والحياةُ الأَبَدِيَّةُ؛

وَعَن أَبِي سَعيدٍ الخُدرِيِّ وَأَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنهما:

عن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: " يُنَادِي مُنادٍ:

إِنَّ لَكُم أَن تَصِحُّوا فَلاَ تَسقَمُوا أَبداً.

وإِنَّ لَكُم أَن تَحيَوا فَلاَ تَمُوتُوا أَبداً.

وإِنَّ لَكُم أَن تَشِبُّوا فَلاَ تَهرَمُوا أَبداً.

وَإِنَّ لَكُم أَن تنعَمُوا فَلاَ تَبتَأَسُوا أَبداً " فَذَلِكَ قَولُه عزَّ وجلَّ: {وَنُودُوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أُورِثتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ} [7 / الأعراف /43].[3]

5ـ البُيوتُ الوَاسِعَةُ الجَمِيلَةُ، المَملُوءَةُ بِالأَزوَاجِ؛

وَعَن أَبِي بَكرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ قَيسٍ، عَن أَبِيهِ؛

أَنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: " فِي الجَنَّةِ خَيمَةٌ مِن لُؤلُؤةٍ مُجَوَّفَةٍ. عَرضُهَا سِتُّونَ مِيلاً، فِي كُلِّ زَاوِيةٍ مِنهَا أَهلٌ، مَا يَرونَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيهِم المُؤمِنُ".[4]

6ـ الخُلودُ فِي دَارِ النَّعِيمِ؛

قال تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ ﴾ [سُورَةُ الدُّخَانِ، الآية: 56].

وقـال سـبحانه: ﴿ يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ، الآية: 12].

وعَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ:

---

1 الحديث السابق.

2 رواه مسلم (2836).

3 رواه مسلم (2837).

4 رواه مسلم (2838).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:
يُؤتَى بِالمَوتِ كَهيئَةِ كَبشٍ أَملَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ؛ يَا أَهلَ الجَنَّةِ، فَيَشرَئِبُّونَ وَيَنظُرُونَ. فَيَقُولُ؛ هَل تَعرِفُونَ هَذَا.
فَيَقُولُونَ؛ نَعَم هَذَا المَوتُ، وَكُلُّهُم قَد رَآهُ.
ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهلَ النَّارِ، فَيَشرَئِبُّونَ وَيَنظُرُونَ.
فَيَقُولُ؛ هَل تَعرِفُونَ هَذَا.
فَيَقُولُونَ؛ نَعَم هَذَا المَوتُ، وَكُلُّهُم قَد رَآهُ.
فَيُذبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ؛ يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ، وَيَا أَهلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوتَ، ثُمَّ قَرَأَ { وَأَنذِرهُم يَومَ الحَسرَةِ إِذ قُضِيَ الأَمرُ وَهُم فِي غَفلَةٍ } وَهَؤُلَاءِ فِي غَفلَةٍ أَهلُ الدُّنيَا { وَهُم لَا يُؤمِنُونَ }.[1]

وَأَهلُ الشَّقَاوةِ الحَقِيقيَّةِ التَّامَّــةِ الكَامِـلَةِ الدَّائِمـةِ ـ بعدَ العَدمِ ـ هُم أَهلُ النَّـارِ وَبِمِقدارِ تَحقيقِ العَبدِ فِي الدُّنيا لِصِفاتِ وأَعمالِ أَهلِ النَّارِ الَّتي بِهَا وَصَلُوا إِلَيهَا تَتحقَّقُ شَقَاوَتُه الدُّنيَوِيَّةِ؛ الحِسِّيَّةِ وَالمَعنَوِيَّةِ.[2]

وَهِذِه الشَّقَاوةُ تَامَّة مَهمَا تَحقَّق لَهُم مِن تَوهُّم السَّعادةِ فِي الدُّنيَا بِـ؛

مَا ذَكرَه سُبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمرَانَ، الآيَة: 14].

فَحُبُّ النَّاسِ لِهَذِهِ المَحبُوباتِ يُحقِّقُ لَهُم شَطـراً مِن السَّـعادةِ إِذَا تَقيَّدُوا فِي مَـحبَّتِهَا وَاستِخدَامِهَا بِأَحكَامِ الشَّرِيعةِ الغَرَّاءِ.
أَمَّا إِذَا لَم يَتقيَّدُوا فِي مَحبَّتِهَا بِالشَّرعِ بَل غَلَو فِي ذَلِكَ، و استَخدَمُوهَا وَفــقَ أَهوَائِهِم وَنزَواتِهِم كَانَت هَمَّاً وَغَمَّاً وَحَزَناً لَهُم فِي الدُّنيا قَبلَ الآخِرةِ وَإِن زَعمُوا خِلافَ ذَلِكَ.

حَديثٌ جَليلٌ:

رَوى مُسلمٌ فِي صَحِيحِه عن أَنسِ بنِ مَالكٍ رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛

" يُؤتى بِأَنعَمِ أَهلِ الدُّنيَا، مِن أَهلِ النَّارِ، يومَ القِيامَةِ.
فَيُصبَغُ فِي النَّارِ صَبغةً.
ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابنَ آدَمَ! هل رَأَيتَ خَيراً قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟
فَيَقُولُ: لاَ، واللهِ! يَا ربِّ!
وَيُؤتَى بِأَشدِّ النَّاسِ بُؤساً فِي الدُّنيَا، مِن أَهلِ الجَنَّةِ.
فَيُصبَغُ صَبغَةً فِي الجَنَّة.
فَيُقَالُ لَه: يَا ابنَ آدم! هَل رَأَيتَ بُؤساً قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟
فَيَقُولُ: لاَ، واللهِ! يا ربِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤسٌ قَطُّ. وَلاَ رَأَيتُ شِدَّةً قَطُّ ".[3]

---

1 رواه البخاري (4730).

2 وينبغي أن يُعلم أنَّهم في ذلك على صِنفين:

1ـ **أهلُ شقاوة مؤقَّتة؛** وهم العــصاة من أهل التَّـوحيد الَّذين ارتـكبوا المعاصــي، واستحقوا عـليها العقوبـة في النَّار فيعاقبون بمقدار تطهيرهم مِن خبثهم، ثم يدخلون الجنَّة برحمة الله.

2ـ **وأهلُ شقاوة دائمة؛** وهم الكفَّار والمشركون، فهؤلاء ماكثون في جهنَّم إلى الأبد، فهي دارهم الَّتي أعدَّت لهم.

3 رواه مسلم (2807).

فهذَا الحَديثُ الجَليلُ لَدَليلٌ قَاطعٌ وَبُرهَانٌ سَاطِعٌ عَلى؛ أنَّه لاَ نِسبَة وَلاَ مُقَارنَة بَين سَعادةِ الدُّنيَا المَادِّيَّةِ و المَعنَويَّةِ المُتَوَهَّمة، وَسَعادَةِ الآخِرةِ الحَقِيقِيَّةِ، فَالنِّسبَةُ بَينَهُمَا كَنِسبَةِ الوَهمِ إلَى الحَقِيقَةِ.

فَبِمقدارِ وُصولِ العَبدِ إلَى السَّعادةِ الَّتي ارتَضاهَا اللهُ لِعبَادِهِ فِي الدُّنيَا وَهيَ القَائِمَةُ عَلَى؛ مَعرِفةِ الرَّبِّ سُبحَانَه وَمَحبَّتِه وَرجَائِه وَالرَّهبَةِ مِنهُ...مِمَّا فِيهِ إحسَانٌ فِي عِبادَةِ الخَالِقِ، ومَا يَتبَعُ ذَلكَ مِن الإحسَانِ لِلخَلقِ؛

إلَى نَفسِهِ.

ثُمَّ إلَى الخَلقِ مِن بَنِي آدَم.

ثُمَّ إلَى الخَلقِ مِن البَهَائِم وَالدَّوَابِّ وَالجَمَادات، تَتحَقَّق سَعَادَتُه الحَقِيقِيَّةُ الكَامِلَةُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ المُقِيمِ.

فَمعنَى عُنوانِ الرِّسالةِ؛" **الوَسَائلُ المُفيدَةُ لِتحَصيلِ أَسبَابِ الحَيَاةِ الدُّنيَويَّةِ السَّعِيدةِ الَّتي هِي سَبِيلٌ إلَى الحَيَاةِ الحَقِيقيَّةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ المُقِيمِ فِي الدَّارِ الآخِرةِ** ".

✓ سَبَبُ تَألِيفِ الكِتَابِ: هو؛

أَنَّ الشَّيخَ لَمَّا كَانَ فِي سفرٍ إلَى لُبنَانَ لِلعلاجِ أَحضَر لَهُ ابنهُ مُحمَّد كِتَاب " دَعِ القَلقَ وابدَأ الحَيَاةَ "؛ للمؤلِّف الأَمريكِي " ديل كَارنِيجي " تَنَاوَل فِيهِ؛ بَعضَ أَسبَاب القَلقِ وعِلاجِهَا بِحسَب المَفهُومِ الغَربِيِّ القَاصِرِ.

فَرأَى الشَّيخُ أَنَّ فِي الإِسلامِ مِنَ القَواعِد وَالتَّوجِيهاتِ والتَّنبِيهاتِ المَنصُوصِ عَلَيهَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَارةً أَو المُستَنبَطةِ مِن قِبَلِ أَهلِ العِلمِ الفُحُول تَارةً أُخرَى، مَا يَكفَل تَحقِيقَ السَّعادةِ للإنسانِ فِي الدُّنيَا والآخِرةِ.

فَكأَنَّ الشَّيخَ يَقولُ بِلِسانِ الحَالِ؛

أيُّهَا النَّاسُ، يَا مَعَاشِر أُمَمِ العَالَم، ويَا جِنسَ البَشَرِيَّة عَلَيكُم أن تَعلَمُوا: بِأَنَّنَا مَعاشِرَ المُسلِمينَ أَهلُ السَّعادةِ الحَقِيقِيةِ، ونَحنُ أَولَى بِهَا وأَهلُهَا، وَنَحنُ أَعرَفُ بِهَا وَبِأَسبَابِهَا وَوَسَائِل تَحقِيقِهَا مِن أَيِّ أُمَّةٍ أَو قَومٍ أَو مِلَّةٍ أَو طَرِيقَةٍ أَو فِكرٍ...ذَلكَ أَنَّ مَصدرَ عِلمِنَا بِهَا وتَحقِيقِنَا لَهَا هُوَ رَبُّنَا وخَالِقُنَا وإِلَاهُنَا الَّذِي هُو أَعرَفُ بِأَحوَالِنَا الظَّاهِرَةِ و البَاطِنةِ المَادِّيَّةِ وَالمَعنَويَّةِ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سُورَةُ المُلْكِ، الآية: 14].

✓ مِن ثَنَاءِ أَهلِ العِلمِ عَلَى الكِتَابِ:

- قَالَ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ جارِ اللهِ الجار الله:

هَذَا الكِتَابُ القَيِّمُ.. يُعتَبرُ مُستَشفَى لِلأَمرَاضِ النَّفسِيَّةِ عَلَى ضَوءِ كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِه صَلَّى الله عليه وسلَّم.[1]

- قَال الشَّيخُ إِبرَاهِيم الرُّحَيلِي فِي شَرحِهِ:

هَذِهِ رِسَالَةٌ عَظِيمَةٌ.

1 في خاتمة اعتنائه بالكتاب وطبعه.

- وقال الشَّيخُ عبدُ الرزَّاقِ البَدرِ:

هِيَ عَلى صِغَرِ حجمِهَا عَظِيمٌ نَفعُهَا، وَالحَاجَةُ مَاسَّةٌ إِليهَا لِكُلِّ إِنسَانٍ، لَاسِيمَا فِي هذِه الأَزمَانِ الَّتي كَثُرت فِيهَا الفِتَنُ وعَظُمَت فِيها المِحَن.[1]

- وَقَالَ الشَّيخُ أَبُو مُصعَب مَجدِي حَفَّالَة فِي شَرحِهِ:

هَذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى وَجَازَتِهَا هِيَ رِسَالَةٌ نَافِعَةٌ.

✓ مِن مَعَالِمِ مَنهَجِ ابنِ سعدِي فِي كِتَابِـهِ:

أَقُولُ عَلى وَجهِ العَجلةِ وطَلبِ الاختِصارِ فِي تَقرِيبِ مَنهجِ الشَّيخ؛

مِمَّا أَفصحَ عَنهُ الشَّيخُ فِي مُقدّمةِ رِسَالَتِه:

أ/ـ أمَّا مِن حَيثُ مَوضُوعِ الرِّسالة:

فَقَالَ رَحِمَه اللهُ:

" سَأذكُرُ ..**مِنَ الأَسبَابِ** لِهذَا المَطلَبِ الأَعلَى، الَّذِي يَسعَى لَهُ كُلُّ أَحَدٍ"[2].

فذَكَرَ مُصَرّحاً رَحِمه اللهُ أَنَّ مَوضُوعَ الرّسالةِ هُو فِي: بَيانِ بَعضِ الأَسبَابِ المُوصِلةِ إِلى السَّعادةِ الحَقِيقيَّةِ فِي الحيَاةِ الدُّنيَا.

وظَاهِرُ صَنِيعِ الشَّيخِ أَنَّه أَلَّف الرِّسالَةَ للنَّاسِ جَمِيعاً مُؤمِنِهِم وكَافِرِهِم، بِدَلِيلِ إِدرَاجِه؛

ـ المُقَارَنَةَ بَينَ الكَافِرِ والمُسلِمِ فِي تَحقُّقِ أَسبَابِ السَّعادة، تَرغِيباً لِلكَافِرِ فِي تَحصِيلِ مَزِيدٍ مِنهَا بِدُخُولِه رِيَاضَ الإسلَامِ.

ـ وَإِدرَاجِه الأَسبَابَ الطَّبِيعيَّةِ والعَمَلِيَّةِ كَمَا سَمَّاهَا الشَّيخ حَتَّى يُبَيِّنَ الفَرقَ العَظِيمَ بَينَ الأَسبابِ الشَّرعِيَّةِ وغَيرِها، وأَنَّ حَظَّها فِي تَحقِيقِ السَّعادة هُو الحَظُّ الأَعظَمُ والنَّصِيبُ الأَوفَرُ.

ب/ـ وَأَمَّا مِن حَيثُ مَنهَجِيَّةِ التَّألِيف:

فَقَالَ رحمه الله:

" سَأَذكُرُ بِرِسَالَتِي هَذِهِ **مَا يَحضُرُنِي** مِنَ الأَسبَابِ لِهَذَا المَطلَبِ الأَعلَى، الَّذِي يَسعَى لَهُ كُلُّ أَحَدٍ"

فَذكَرَ رَحمه اللهُ أَنَّ مِن مَنهَجِيَّتِه فِي ذِكرِ أَسبَابِ السَّعادة؛

الِاقتِصارُ عَلى مَا يَستحضِرُهُ مِن ذَلِكَ حِفظاً مِن ذَاكِرَتِه مِمَّا فَتحَ اللهُ عليه خُصُوصاً وأَنَّه كَان حَـالَ تَأليفِ الرِّسالَةِ مُسـافراً إِلى لُبنان لِلتَّداوِي بعِيداً عن مَكتبَتِهِ وَكُتُبِه، فَقد كَان قَـصدُه الإِشـارَةُ وَالإِنَـارَةُ دُونَ جَمعِ مَا فِي البَابِ مِن الأَسبَابِ بِاستِيعَابٍ.

---

1 من مقدّمة الشيخ عبد الرزَّاق البدر لتحقيقه للكتاب صفحة 6.

2 وذاك المطلوب هو ما أوضحه في مقدّمة الرِّسالة: " **فَإِنَّ رَاحَةَ القَلبِ، وَطُمَأنِينَتَهُ وَسُرُورَهُ وَزَوَالَ هُمُومِهِ وَغُمُومِهِ، هُوَ المَطلَبُ لِكُلِّ أَحدٍ، وَبِهِ تَحصُلُ الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، وَيَتِمُّ السُّرُورُ وَالِابتِهَاجُ** ".

ومِمَّا لَم يَذكُره صَراحةً بل إشـارةَ ويُمكِنُ استِخلاَصُــه بِالتَّأمُّـل في الكتابِ:

[1] أَنَّهُ ذَكَر فِي رِسالَتِه؛ الأَسبَابَ الدِينِيَّةُ، وَالأَسبَابَ الطَبِيعِيَّةُ، وَالأَسبَاب العَمَلِيَّةُ، وَإن لَم يَعتَنِي بِبَيانِ ذَلكَ فِي طيَّاتِ رِسالَتِه النَّافعةِ.
حَيثُ قال فِي بيانِ أقسامِ أسبابِ السَّعادةِ: " وَلِذَلِكَ: 1 ـ**أَسبَابٌ دِينِيَّةٌ**، 2 ـ**وَأَسبَابٌ طَبِيعِيَّةٌ**، 3 ـ**وَأَسبَابٌ عَمَلِيَّةٌ**. "

[2] أَنَّه اعتنى في المُقدِّمةِ وَفِي طَيَّاتِ كِتابه بِبَيانِ التَّميُّزِ الوَاضِـح بَينَ المُسـلم المُوحِّدِ، والكَافِرِ المُشرِكِ فِي اجتِمَاع أَسبَابِ السَّعادةِ وأنَّ كَمالَها لا يَحصُل إلاَّ لِلمُسلمِ فِي الدُّنيا والآخِرةِ بِحَسَبِ انقِيَادِه وطَاعَتِه لِرَبِّهِ.

[3] كَمَا أَنَّه لم يُغفِل بيانَ أَقسَامِ النَّاسِ بِاعتِبارِ سَعادَتِهم وشَقَاوَتِهم عَلَى وَجهِ الإِجمَالِ فقال:
"1ـ **فَمِنهُم مَن أَصَابَ كَثِيراً مِنهَا فَعَاشَ عِيشَةً هَنِيئَةً، وَحَيِيَ حَيَاةً طَيِّبَةً.**
2ـ **وَمِنهُم مَن أَخفَقَ فِيهَا كُلِّهَا فَعَاشَ عِيشَةَ الشَّقَاءِ، وَحَيِيَ حَيَاةَ التُّعَسَاءِ.**
3ـ **وَمِنهُم مَن هُوَ بَينَ بَينَ، بِحَسَبِ مَا وُفِّقَ لَهُ.**"

[4] الظَّاهِرُ مِن صَـنِيعِ المُؤَلِّفِ أَنَّهُ رَاعَى فِي تَرتِيبِ الأَسبَابِ ذِكرَ الأَهَمِّ فَالمُهِمّ بِحَسبِ مَا وَصلَ إِلَيهِ بَحثُه وَاجتِهَادُه.

[5] الِاعتِنِاءُ الظَاهِرُ بِـرَبطِ مَا يَذكُرُه مِن أَسبَابِ السَّعادةِ بِنُصُوصِ الوَحيَينِ مَع بيانِ وَجهِ الدَّلالةِ مِنَ النَّصِّ على السَّببِ، وَهذِه مِن خَصَائِصِ وسِمَاتِ ابنِ سعدي رحمه الله فِي التَّألِيفِ؛ أَنَّه يَربِطُ الأَحكَام بِالأَدِلَّةِ إلاَّ إذَا دَفعَته الحَاجَة إلى تركِ ذلِك، كَمُراعاةِ حالِ المُبتَدِئينَ، أَو شِدَّةِ الِاختِصارِ...

[6] إِيرادُ أَسبَابِ السَّـعادةِ عَلَى شَكلِ قواعدَ وأُصُولٍ قَابلةٍ لِلحفظِ، إذ لَم يَكُن مَقصَدُ الشَّيخِ إِيرَادُ كُلِّ الأَسبَابِ اِعتِبَاطاً، مِمَّا يَحضُرُهُ حِفظاً فَحسب، لاَ هَذَا لَيسَ مِن أُسلُوبِ الشَّيخ بَل حَاولَ ذِكرَ أُصُولِ الأسبابِ الَّتي يُمكِنُ أَن تُدرجَ ضِمنَها أَسبابٌ فرعِيَّةٌ أُخرَى، وذَلِكَ حتَّى؛ يَتَيسَّر الحِفظُ وَيَسهُلَ الفَهمُ فَتحصُل الفَائِدةُ المَرجُوَّةُ مِن تَألِيفِ الرِّسَالَةِ.

[7] اعتِناءُ الشَّيخِ بِالتَّقاسِيمِ النَّافِعةِ الَّتِي تُقَرِّبُ البَعِيدَ وتُعلِّمُ البَلِيدَ، فَهِيَ مِن الأَسَالِيبِ الرَّاقِيَةِ فِي تَيسِيرِ الأُمُورِ المُتَشَعِّبَةِ المُتَفَرِّعَةِ لِلمُتعَلِّمِ، وَاعتِنَاءُ الشَّيخ بِهذا الأَمرِ فِي كُتبِه لا يَحتاج إلى تَدلِيلٍ فَيَكفِي فِي ذلِك كِتَابُه المَوسُوم بِـ :" **القَوَاعِدُ والأُصُولُ الجَامِعةُ، وَالفُرُوقُ وَالتَّقَاسِيمُ البَدِيعَةُ النَّافِعَةُ** ".

هَذَا مَا يَسَّرَهُ اللهُ تَعالَى فِي هَذِه العُجَالَة، وَبِالتَأمُّل وَالتَدبُّر يَتَحصَّلُ بِتوفِيقِ اللهِ أَضعَافُ ذلِكَ.

✓ طَبَعَاتُ كِتَابِ " الوَسائلُ المُفِيدَةُ للحيَاةِ السَّعيدةِ " وَجُهُودُ العُلَماءِ فِي خِدمَتِهِ:

ــ طُبِعَت فِي الجَامِعَةِ الإِسلَامِيَّةِ فَرع شُؤُونِ الدَّعوَةِ بِاعتِنَاءِ الشَّيخِ الفَاضِلِ عَبد الرَّزَّاق البَدر، الطَّبعَـــة الثَّانية سنَة (1409هـ)، فِي 35 صَفحَة مُخَرَّجَة الأَحَادِيثِ بِاختِصارٍ مَعَ تَعلِيقَاتٍ يَسِيرَةٍ.

ــ طُبِعَت ضِمنَ المَجمُـــوعَةِ الكَامِلَةِ لِمُؤَلَّفَاتِ الشَّيخ عبد الرَّحمن بنِ نَاصرِ السِّعدِي فِي المجلد (14/479 ــ 495) سَنَة (1411هـ)، عَن مَركَزِ صَالح بن صَالح الثَّقَافِي بِعُنَيزَة غَيرَ مُخَرَّجةِ الأَحادِيثِ وَلاَ مُعَلَّقٍ عَلَيهَا فِي حَوالِي 16 صَفحة، ثم طبع مؤخرا ضمن " مجموع مؤلفات الشيخ عبد العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي " في المجلد (7/161 ـ 171)، عن دار الميمان الطبعة الأول (1432هـ).

ــ طُبِعت بِاعتِناءِ الشَّيخ عبدِ الله بنِ جـار اللهِ الجار الله، مُخرَّجَة الأحاديث باختصارٍ، عن دار ابن الجوزي سنة (1421هـ)، في 30 صفحة.

ــ طُبِعت فِي وِزارة الشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف، بِاعتناء عبدِ اللهِ بنِ أحمَد الزَّيد.

✓ مَنظُومَاتُ كِتَابِ " الوَسِائلِ المُفِيدَةُ للحيَاةِ السَّعِيدةِ ":

حَسبَ عِلمِي القَاصِــر لاَ أَعلمُ لِلكِتابِ إِلاَّ نَـظماً واحـداً ـ إِلَى حِينِ كِتابـةِ هذِهِ الأَسطُر ـ وهو:
" القَصِيدَةُ نَظمُ الوَسَائِلِ المُفِيـدَةِ لِلحَيَـاةِ السَّـعِيدَةِ "؛ لِلشَّيخ عبدِ اللهِ بنِ نَجَاحٍ آل طَاجِن.

✓ مِن شُرُوحَاتِ كتَابِ " الوَسَائِلُ المُفِيدَةُ للحيَاةِ السَّعيدةِ ":

أ- المَطبُوعَةُ:

والَّتِي لاَ أَعلَمُ مِنهَا إِلاَّ:

1/ــ " خَواطِــرٌ حَولَ الوَسـائلِ المُـفِيدَةِ لِلحيَاةِ السَّعِيدَةِ "؛ لِلشَّيخِ الدكتور عبدِ العَزِيزِ بن داود بنِ سُليمَان الفَايِز.

2/ــ " شرح الوَسائلِ المُفِيـدَةِ لِلحيَاةِ السَّعِيدَةِ "؛ لِلشَّيخ الدكتور يوسف بن عثمان الحزيم، طبع عن دار السَّلام سنة (1429) هـ، في 138 صفحة.

3/ـ " **شرحُ رِسَالَة الوسَائِل المُفِيدَة لِلحيَاة السَّعِيدَةِ** "؛ لِلشَّيخِ مُحمَّد بن إبراهيم الحمد، طبع عن دار العبيكان.

ب- المَسمُوعَةُ:

وهي كثيرةٌ ومُتنوِّعةٌ؛ مِن حَيثُ الاختِصارِ والطُّولِ، ومِن حيـــثُ مَنهَجيَّةِ الشَّرحِ وأُسلُوبِ العَرضِ، ومِنها على سبيـــــلِ المِثالِ لا الحَصرِ:

[1] شرح الشيخ إبراهيم الرحيلي في (14) شريطاً.

[2] شرح الشيخ السحيمي في (6) أشرطة.

[3] شرح الشيخ محمد سعيد رسلان في شريط.

[4] شرح الشيخ عبد العزيز الراجحي في الحرم المكي.

[5] شرح الشيخ الحارث بن سراج الزهراني في (7) أشرطة.

[6] شرح الشيخ د. علي بن غازي التويجري في شريط.

[7] شرح الشيخ محمد مزيان الجزائري في (5) أشرطة.

[8] شرح الشيخ محمد بن غالب العمري في (3) أشرطة.

[9] شرح الشيخ محمد بن رمزان الهاجري في (3) أشرطة.

[10] شرح الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الأحمد في (3) أشرطة.

[11] شرح الشيخ خالد السعدي في (12) شريطاً.

[12] شرح الشيخ خالد إسماعيل في (24) شريطاً.

[13] شرح الشيخ أبي معاذ أبو بكر باصلعة في (6) أشرطة.

[14] شرح الشيخ أبو مصعب مجدي حفالة في شريطين.

[15] شرح الشيخ هشام البيلي في شريط.

○ تنبيه:

عدد الأشرطة المسجلة قد يتغير بحسب تصرف بعض الإخوة المتخصصين في الصوتيات بتقسيمها باعتبارات معينة فليتنبه.

- **فَائِدَة:**

وقد أُلقِيَ هذا المتن إلقاءً صوتياً مُسجَّلاً مِن قِبَل:

ـ الأخِ أبي أحمَد الشَّيظمي المغربي.

المَتــــــنُ

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ للهِ الَّذِي لَهُ الحَمدُ كُلُّهُ، وَأَشهَدُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ رَاحَةَ القَلبِ، وَطُمَأنِينَتَهُ وَسُرُورَهُ وَزَوَالَ هُمُومِهِ وَغُمُومِهِ، هُوَ المَطلَبُ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَبِهِ تَحصُلُ الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، وَيَتِمُّ السُّرُورُ وَالابتِهَاجُ.

وَلِذَلِكَ:

1 ـ **أَسبَابٌ دِينِيَّةٌ.**

2 ـ **وَأَسبَابٌ طَبِيعِيَّةٌ.**

3 ـ **وَأَسبَابٌ عَمَلِيَّةٌ.**

وَلاَ يُمكِنُ اجتِمَاعُهَا كُلُّهَا إِلاَّ لِلمُؤمِنِينَ.

وَأَمَّا مَن سِوَاهُم، فَإِنَّهَا وَإِن حَصَلَت لَهُم مِن وَجهٍ وَسَبَبٍ يُجَاهِدُ عُقَلاَؤُهُم عَلَيهِ، فَاتَتهُم مِن وُجُوهٍ أَنفَعَ وَأَثبَتَ وَأَحسَنَ حَالاً وَمَآلاً.

وَلَكِنِّي سَأَذكُرُ بِرِسَالَتِي هَذِهِ مَا يَحضُرُنِي مِنَ الأَسبَابِ لِهَذَا المَطلَبِ الأَعلَى، الَّذِي يَسعَى لَهُ كُلُّ أَحَدٍ:

1ـ **فَمِنهُم مَن أَصَابَ كَثِيراً مِنهَا فَعَاشَ عِيشَةً هَنِيئَةً، وَحَيِيَ حَيَاةً طَيِّبَةً.**

2ـ **وَمِنهُم مَن أَخفَقَ فِيهَا كُلِّهَا فَعَاشَ عِيشَةَ الشَّقَاءِ، وَحَيِيَ حَيَاةَ التُّعَسَاءِ.**

3ـ **وَمِنهُم مَن هُوَ بَينَ بَينَ، بِحَسَبِ مَا وُفِّقَ لَهُ.**

وَاللهُ المُوَفِّقُ المُستَعَانُ بِهِ عَلَى كُلِّ خَيرٍ، وَعَلَى دَفعِ كُلِّ شَرٍّ.

فَصــلٌ

1 ـ وَأَعظَمُ الأَسبَابِ لِذَلِكَ وَأَصلُهَا وَأُسُّهَا هُوَ: الإِيمَانُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ:

قَالَ تَعَالَى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[1]، فَأَخبَرَ تَعَالَى وَوَعَدَ مَن جَمَعَ بَينَ:

ـ الإِيمَانِ

ـ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، بِـ: ـ الحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

ـ وَبِالجَزَاءِ الحَسَنِ فِي هَذِهِ الدَّارِ

وَفِي دَارِ القَرَارِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ وَاضِحٌ؛ فَإِنَّ المُؤمِنِينَ بِاللهِ الإِيمَانَ الصَّحِيحَ، المُثمِرَ لِلعَمَلِ الصَّالِحِ المُصلِحِ لِلقُلُوبِ وَالأَخلَاقِ وَالدُّنيَا وَالآخِرَةِ، مَعَهُم أُصُولٌ وَأُسُسٌ يَتَلَقَّونَ فِيهَا جَمِيعَ مَا يَرِدُ عَلَيهِم مِن؛

ـ أَسبَابِ السُّرُورِ وَالِابتِهَاجِ.

ـ وَأَسبَابِ القَلَقِ وَالهَمِّ وَالأَحزَانِ.

أ/ـ **يَتَلَقَّونَ المَحَابَّ وَالمَسَارَّ: بِقَبُولٍ لَهَا، وَشُكرٍ عَلَيهَا، وَاستِعمَالٍ لَهَا فِيمَا يَنفَعُ**، فَإِذَا استَعمَلُوهَا عَلَى هَذَا الوَجهِ، أَحدَثَ لَهُم مِنَ الِابتِهَاجِ بِهَا، وَالطَّمَعِ فِي بَقَائِهَا وَبَرَكَتِهَا، وَرَجَاءِ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ، أُمُوراً عَظِيمَةً تَفُوقُ بِخَيرَاتِهَا وَبَرَكَاتِهَا هَذِهِ المَسَرَّاتِ الَّتِي هَذِهِ ثَمَرَاتُهَا.

ب/ـ **وَيَتَلَقَّونَ المَكَارِهَ وَالمَضَارَّ وَالهَمَّ وَالغَمَّ: بِالمُقَاوَمَةِ لِمَا يُمكِنُهُم مُقَاوَمَتُهُ، وَتَخفِيفِ مَا يُمكِنُهُم تَخفِيفُهُ، وَالصَّبرِ الجَمِيلِ لِمَا لَيسَ لَهُم مِنهُ[2] بُدٌّ**، وَبِذَلِكَ يَحصُلُ لَهُم مِن آثَارِ المَكَارِهِ مِنَ المُقَاوَمَاتِ النَّافِعَةِ، وَالتَّجَارِبِ وَالقُوَّةِ، وَمِنَ الصَّبرِ وَاحتِسَابِ الأَجرِ وَالثَّوَابِ، أُمُورٌ عَظِيمَةٌ تَضمَحِلُّ مَعَهَا المَكَارِهُ، وَتَحِلُّ مَحَلَّهَا المَسَارُّ وَالآمَالُ الطَّيِّبَةُ، وَالطَّمَعُ فِي فَضلِ اللهِ وَثَوَابِهِ، كَمَا عَبَّرَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عَن هَذَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: **" عَجَباً لِأَمرِ المُؤمِنِ، إِنَّ أَمرَهُ كُلَّهُ خَيرٌ، إِن أَصَابَتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيراً لَهُ، وَإِن أَصَابَتهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيراً لَهُ وَلَيسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلمُؤمِنِ"**[3]، فَأَخبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّ المُؤمِنَ يَتَضَاعَفُ غُنمُهُ وَخَيرُهُ وَثَمَرَاتُ أَعمَالِهِ فِي كُلِّ مَا يَطرُقُهُ مِنَ السُّرُورِ وَالمَكَارِهِ.

لِهَذَا تَجِدُ اثنَينِ تَطرُقُهُمَا نَائِبَةٌ مِن نَوَائِبِ الخَيرِ أَوِ الشَّرِّ، فَيَتَفَاوَتَانِ تَفَاوُتاً عَظِيماً فِي تَلَقِّيهَا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمَا فِي الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ؛

ـ هَذَا المَوصُوفُ بِهَذَينِ الوَصفَينِ؛ **يَتَلَقَّى الخَيرَ وَالشَّرَّ** بِمَا ذَكَرنَاهُ مِنَ **الشُّكرِ وَالصَّبرِ وَمَا يَتبَعُهُمَا، فَيَحدُثُ لَهُ السُّرُورُ وَالِابتِهَاجُ، وَزَوَالُ الهَمِّ وَالغَمِّ وَالقَلَقِ، وَضِيقِ الصَّدرِ، وَشَقَاءِ الحَيَاةِ، وَتَتِمُّ لَهُ الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي هَذِهِ الدَّارِ.**

---

1 [النحل:97].

2 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الرزاق "**عنه** ".

3 رواه مسلم (2999) **عن صهيب رضي الله عنه.**

– وَالآخَرُ؛ **يَتَلَقَّى المَحَابَّ بِأَشَرٍ وَبَطَرٍ وَطُغيَانٍ، فَتَنحَرِفُ أَخلاَقُهُ** وَيَتَلَقَّاهَا كَمَا تَتَلَقَّاهَا البَهَائِمُ بِجَشَعٍ وَهَلَعٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ **غَيرُ مُستَرِيحِ القَلبِ، بَل مُشَتَّتُهُ مِن جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ**؛

مُشَتَّتٌ مِن جِهَةِ خَوفِهِ مِن زَوَالِ مَحبُوبَاتِهِ، وَمِن كَثرَةِ المُعَارَضَاتِ النَّاشِئَةِ عَنهَا غَالِباً.

وَمِن جِهَةِ أَنَّ النُّفُوسَ لاَ تَقِفُ عِندَ حَدٍّ، بَل لاَ تَزَالُ مُتَشَوِّقَةً[1] لِأُمُورٍ أُخرَى، قَد تَحصُلُ وَقَد لاَ تَحصُلُ، وَإِن حَصَلَت عَلَى الفَرضِ وَالتَّقدِيرِ فَهُوَ أَيضاً قَلِقٌ مِنَ الجِهَاتِ المَذكُورَةِ.

وَيَتَلَقَّى المَكَارِهَ بِقَلَقٍ وَجَزَعٍ وَخَوفٍ وَضَجَرٍ، فَلاَ تَسأَل عَن مَا يَحدُثُ لَهُ مِن: شَقَاءِ الحَيَاةِ، وَمِنَ الأَمرَاضِ الفِكرِيَّةِ وَالعَصَبِيَّةِ، وَمِنَ الخَوفِ الَّذِي قَد يَصِلُ بِهِ إِلَى أَسوَءِ الحَالاَتِ وَأَفظَعِ المُزعِجَاتِ، لِأَنَّهُ لاَ يَرجُو ثَوَاباً، وَلاَ صَبرَ عِندَهُ يُسَلِّيهِ وَيُهَوِّنُ عَلَيهِ.

وَكُلُّ هَذَا مُشَاهَدٌ بِالتَّجرُبَةِ، وَمَثَلٌ وَاحِدٌ مِن هَذَا النَّوعِ، إِذَا تَدَبَّرتَهُ وَنَزَّلتَهُ عَلَى أَحوَالِ النَّاسِ، رَأَيتَ الفَرقَ العَظِيمَ بَينَ المُؤمِنِ العَامِلِ بِمُقتَضَى إِيمَانِهِ، وَبَينَ مَن لَم يَكُن كَذَلِكَ، وَهُوَ؛ أَنَّ الدِّينَ يَحُثُّ غَايَةَ الحَثِّ عَلَى القَنَاعَةِ بِرِزقِ اللهِ، وَبِمَا آتَى العِبَادَ مِن فَضلِهِ وَكَرَمِهِ المُتَنَوِّعِ.

فَالمُؤمِنُ إِذَا ابتُلِيَ بِمَرَضٍ أَو فَقرٍ، أَو نَحوِهِ مِنَ الأَعرَاضِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ عُرضَةٌ لَهَا، فَإِنَّهُ - بِإِيمَانِهِ وَبِمَا عِندَهُ مِنَ القَنَاعَةِ وَالرِّضَى بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ - يَكُونُ قَرِيرَ العَينِ، لاَ يَتَطَلَّبُ بِقَلبِهِ أَمراً لَم يُقَدَّر لَهُ، يَنظُرُ إِلَى مَن هُوَ دُونَهُ، وَلاَ يَنظُرُ إِلَى مَن هُوَ فَوقَهُ، وَرُبَّمَا زَادَت بَهجَتُهُ وَسُرُورُهُ وَرَاحَتُهُ عَلَى مَن هُوَ مُتَحَصِّلٌ[2] عَلَى جَمِيعِ المَطَالِبِ الدُّنيَوِيَّةِ، إِذَا لَم يُؤتَ القَنَاعَةَ.

كَمَا تَجِدُ هَذَا الَّذِي لَيسَ عِندَهُ عَمَلٌ بِمُقتَضَى الإِيمَانِ، إِذَا ابتُلِيَ بِشَيءٍ مِنَ الفَقرِ، أَو فَقدِ بَعضِ المَطَالِبِ الدُّنيَوِيَّةِ، تَجِدُهُ غَايَةً فِي التَّعَاسَةِ وَالشَّقَاءِ.

وَمَثَلٌ آخَر: إِذَا حَدَثَت أَسبَابُ الخَوفِ، وَأَلَمَّت بِالإِنسَانِ المُزعِجَاتُ، تَجِدُ صَحِيحَ الإِيمَانِ ثَابِتَ القَلبِ، مُطمَئِنَّ النَّفسِ، مُتَمَكِّناً مِن تَدبِيرِهِ وَتَسيِيرِهِ لِهَذَا الأَمرِ الَّذِي دَاهَمَهُ، بِمَا هُوَ فِي وُسعِهِ مِن فِكرٍ وَقَولٍ وَعَمَلٍ، قَد[3] وَطَّنَ نَفسَهُ لِهَذَا المُزعِجِ المُلِمِّ، وَهَذِهِ أَحوَالٌ تُرِيحُ الإِنسَانَ وَتُثَبِّتُ فُؤَادَهُ.

كَمَا تَجِدُ فَاقِدَ الإِيمَانِ بِعَكسِ هَذِهِ الحَالِ، إِذَا وَقَعَت المَخَاوِفُ انزَعَجَ لَهَا ضَمِيرُهُ، وَتَوَتَّرَت أَعصَابُهُ، وَتَشَتَّت أَفكَارُهُ وَدَاخَلَهُ الخَوفُ وَالرُّعبُ، وَاجتَمَعَ عَلَيهِ الخَوفُ الخَارِجِيُّ، وَالقَلَقُ البَاطِنِيُّ الَّذِي لاَ يُمكِنُ التَّعبِيرُ عَن كُنهِهِ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ النَّاسِ إِن لَم يَحصُل لَهُم بَعضُ الأَسبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي تَحتَاجُ إِلَى تَمرِينٍ كَثِيرٍ، اِنهَارَت قِوَاهُم وَتَوَتَّرَت أَعصَابُهُم، وَذَلِكَ لِفَقدِ الإِيمَانِ الَّذِي يَحمِلُ عَلَى الصَّبرِ، خُصُوصاً فِي المَحَالِّ الحَرِجَةِ، وَالأَحوَالِ المُحزِنَةِ المُزعِجَةِ.

فَالبَرُّ وَالفَاجِرُ، وَالمُؤمِنُ وَالكَافِرُ يَشتَرِكَانِ فِي جَلبِ الشَّجَاعَةِ الاِكتِسَابِيَّةِ، وَفِي الغَرِيزَةِ الَّتِي تُلَطِّفُ المَخَاوِفَ وَتُهَوِّنُهَا، وَلَكِن يَتَمَيَّزُ المُؤمِنُ بِقُوَّةِ إِيمَانِهِ وَصَبرِهِ وَتَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ وَاعتِمَادِهِ عَلَيهِ، وَاحتِسَابِهِ لِثَوَابِهِ؛ أُمُوراً تَزدَادُ بِهَا شَجَاعَتُهُ، وَتُخَفِّفُ عَنهُ وَطأَةَ الخَوفِ، وَتُهَوِّنُ عَلَيهِ المَصَاعِبَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ** ﴾[4].

---

1 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الرزاق "**متشوفة** ".

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي " **مُحصِّل** ".

3 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي " **وقد** ".

4 [النساء:104].

وَيَحصُلُ لَهُم مِن مَعُونَةِ اللهِ وَمَعِينِهِ الخَاصّ وَمَدَدِهِ مَا يُبعثِرُ المَخَاوِفَ، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[1].

2 ـ وَمِنَ الأَسبَابِ الَّتِي تُزِيلُ الهَمَّ وَالغَمَّ وَالقَلَقَ[2]: الإِحسَانُ إِلَى الخَلقِ بِالقَولِ وَالفِعلِ، وَأَنوَاعِ المَعرُوفِ، وَكُلُّهَا خَيرٌ وَإِحسَانٌ، وَبِهَا يَدفَعُ اللهُ عَنِ البَرِّ وَالفَاجِرِ الهُمُومَ وَالغُمُومَ بِحَسَبِهَا، وَلَكِن لِلمُؤمِنِ مِنهَا أَكمَلُ الحَظِّ وَالنَّصِيبِ، وَيَتَمَيَّزُ بِأَنَّ إِحسَانَهُ صَادِرٌ عَن إِخلاَصٍ وَاحتِسَابٍ لِثَوَابِهِ، فَيُهَوِّنُ اللهُ عَلَيهِ بَذلَ المَعرُوفِ لِمَا يَرجُوهُ مِنَ الخَيرِ، وَيَدفَعُ عَنهُ المَكَارِهَ بِإِخلاَصِهِ وَاحتِسَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: **﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[3]، فَأَخبَرَ تَعَالَى؛

ـ أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ كُلَّهَا خَيرٌ مِمَّن صَدَرَت مِنهُ، وَالخَيرُ يَجلِبُ الخَيرَ، وَيَدفَعُ الشَّرَّ.

ـ وَأَنَّ المُؤمِنَ المُحتَسِبَ يُؤتِيهِ اللهُ أَجراً عَظِيماً، وَمِن جُملَةِ الأَجرِ العَظِيمِ: زَوَالُ الهَمِّ وَالغَمِّ وَالأَكدَارِ وَنَحوِهَا.

---

1 [الأنفال:46].

2 **فائدة: المكروه الوارد على القلب:**

ـ إن كان من أمر ماض أحدث؛ الحزن.

ـ وإن كان من أمر حاضر أحدث؛ الغم.

ـ وإن كان من أمر مستقبل أحدث؛ الهم، انظر جامع المسائل لابن تيمية (130/9).

3 [النساء:114].

فَصـلٌ

3 ـ وَمِن أَسبَابِ دَفعِ القَلَقِ النَّاشِئِ عَن تَوَتُّرِ الأَعصَابِ، وَاشتِغَالِ القَلبِ بِبَعضِ المُكَدِّرَاتِ: الِاشتِغَالُ بِعَمَلٍ مِنَ الأَعمَالِ أَو عِلمٍ مِنَ العُلُومِ النَّافِعَةِ؛ فَإِنَّهَا تُلهِي القَلبَ عَنِ اشتِغَالِهِ بِذَلِكَ الأَمرِ الَّذِي أَقلَقَهُ، وَرُبَّمَا نَسِيَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الأَسبَابَ الَّتِي أَوجَبَت لَهُ الهَمَّ وَالغَمَّ، فَفَرِحَت نَفسُهُ، وَازدَادَ نَشَاطُهُ.

وَهَذَا السَّبَبُ أَيضاً مُشتَرَكٌ بَينَ المُؤمِنِ وَغَيرِهِ، وَلَكِنَّ المُؤمِنَ يَمتَازُ بِإِيمَانِهِ وَإِخلَاصِهِ وَاحتِسَابِهِ فِي اشتِغَالِهِ بِذَلِكَ العِلمِ الَّذِي يَتَعَلَّمُهُ أَو يُعَلِّمُهُ، وَبِعَمَلِ الخَيرِ الَّذِي يَعمَلُهُ، إِن كَانَ عِبَادَةً فَهُوَ عِبَادَةٌ، وَإِن كَانَ شُغلاً دُنيَوِياً أَو[1] عَادَةً دُنيَوِيَّةً أَصحَبَهَا النِّيَّةَ الصَّالِحَةَ، وَقَصَدَ الِاستِعَانَةَ بِذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، فَلِذَلِكَ أَثَرُهُ الفَعَّالُ فِي دَفعِ الهَمِّ وَالغُمُومِ وَالأَحزَانِ، فَكَم مِن إِنسَانٍ ابتُلِيَ بِالقَلَقِ وَمُلَازَمَةِ الأَكدَارِ، فَحَلَّت[2] بِهِ الأَمرَاضُ المُتَنَوِّعَةُ، فَصَارَ دَوَاؤُهُ النَّاجِعُ[3]؛ نِسيَانَهُ السَّبَبَ الَّذِي كَدَّرَهُ وَأَقلَقَهُ، وَاشتِغَالَهُ بِعَمَلٍ مِن مُهِمَّاتِهِ.

وَيَنبَغِي أَن يَكُونَ الشُّغلُ الَّذِي يَشتَغِلُ فِيهِ مِمَّا تَأنَسُ بِهِ النَّفسُ وَتَشتَاقُهُ، فَإِنَّ هَذَا أَدعَى لِحُصُولِ هَذَا المَقصُودِ النَّافِعِ، وَاللهُ أَعلَمُ.

4 ـ وَمِمَّا يُدفَعُ بِهِ الهَمُّ وَالقَلَقُ: اجتِمَاعُ الفِكرِ كُلِّهِ عَلَى الِاهتِمَامِ بِعَمَلِ اليَومِ الحَاضِرِ، وَقَطعِهِ عَنِ الِاهتِمَامِ فِي الوَقتِ المُستَقبَلِ، وَعَنِ الحُزنِ عَلَى الوَقتِ المَاضِي، وَلِهَذَا اِستَعَاذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ[4]؛

ـ فَالحُزنُ عَلَى الأُمُورِ المَاضِيَةِ الَّتِي لَا يُمكِنُ رَدُّهَا وَلَا استِدرَاكُهَا.

ـ وَالهَمُّ الَّذِي يَحدُثُ بِسَبَبِ الخَوفِ مِنَ المُستَقبَلِ.[5]

فَيَكُونُ العَبدُ ابنَ يَومِهِ، يَجمَعُ جِدَّهُ وَاجتِهَادَهُ فِي إِصلَاحِ يَومِهِ وَوَقتِهِ الحَاضِرِ، فَإِنَّ جَمعَ القَلبِ عَلَى ذَلِكَ يُوجِبُ تَكمِيلَ الأَعمَالِ، وَيَتَسَلَّى بِهِ العَبدُ عَنِ الهَمِّ وَالحَزَنِ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَعَا بِدُعَاءٍ أَو أَرشَدَ أُمَّتَهُ إِلَى دُعَاءٍ فَهُوَ[6] يَحُثُّ مَعَ الِاستِعَانَةِ بِاللهِ، وَالطَّمَعِ فِي فَضلِهِ عَلَى الجِدِّ وَالِاجتِهَادِ فِي التَّحَقُّقِ لِحُصُولِ مَا يَدعُو لِحُصُولِهِ[7]، وَالتَّخَلِّي عَمَّا كَانَ يَدعُو لِدَفعِهِ، لِأَنَّ الدُّعَاءَ مُقَارِنٌ لِلعَمَلِ،

---

1 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي " **و**".

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي "**فأحلّت**".

3 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الرزاق " **الناجح** ".

4 في الحديث الذي رواه البخاري (2893) (5425) (6363) (6369)، ومسلم (1365) لكنَّ الإمام مسلم لم يذكر موضع الشاهد المتعلق بالاستعاذة من الهم والحزن.

5 في طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف: " **فلا ينفع الحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها وقد يضر الهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل، فعلى العبد أن يكون ابن يومه** ".

6 في طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " **فإنما** ".

7 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف "**بحصوله**".

فَالعَبدُ يَجتَهِدُ فِيمَا يَنفَعُهُ فِي الدِّينِ وَالدُّنيَا، وَيَسأَلُ رَبَّهُ نَجَاحَ مَقصَدِهِ، وَيَستَعِينُهُ[1] عَلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ **" اِحرِص عَلَى مَا يَنفَعُكَ وَاستَعِن بِاللهِ وَلاَ تَعجَز، وَإِذَا أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُل : لَو أَنِّي فَعَلتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِن قُل: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَو تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ "**[2].

فَجَمَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ؛

بَينَ: ـ الأَمرِ بِالحِرصِ عَلَى الأُمُورِ النَّافِعَةِ فِي كُلِّ حَالٍ.

ـ وَالاِستِعَانَةِ بِاللهِ وَعَدَمِ الاِنقِيَادِ لِلعَجزِ الَّذِي هُوَ الكَسَلُ الضَّارُّ.

وَبَينَ: الاِستِسلاَمِ لِلأُمُورِ المَاضِيَةِ النَّافِذَةِ، وَمُشَاهَدَةِ قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

وَجَعَلَ الأُمُورَ قِسمَينِ:

ـ قِسماً يُمكِنُ العَبدَ السَّعيَ فِي تَحصِيلِهِ أَو تَحصِيلِ مَا يُمكِنُ مِنهُ، أَو دَفعُهُ أَو تَخفِيفُهُ؛ فَهَذَا يُبدِي فِيهِ العَبدُ مَجهُودَهُ وَيَستَعِينُ بِمَعبُودِهِ.

ـ وقِسماً لاَ يُمكِنُ فِيهِ ذَلِكَ؛ فَهَذَا يَطمَئِنُّ لَهُ العَبدُ وَيَرضَى وَيُسَلِّمُ.

وَلاَ رَيبَ أَنَّ مُرَاعَاةَ هَذَا الأَصلَ سَبَبٌ لِلسُّرُورِ وَزَوَالِ[3] الهَمِّ وَالغَمِّ.

---

1 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الرزاق **"ويستعين به "**.

2 رواه مسلم (2664) **عن أبي هريرة رضي الله عنه.**

3 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي **" ولزوال "**.

فَصـلٌ

5 ـ **وَمِن أكبَرِ الأَسبَابِ لِانشِرَاحِ الصَّدرِ وَطُمَأنِينَتِهِ: الإِكثَارُ مِن ذِكرِ اللهِ**؛ فَإِنَّ لِذَلِكَ تَأثِيراً عَجِيباً فِي انشِرَاحِ الصَّدرِ وَطُمَأنِينَتِهِ، وَزَوَالِ هَمِّهِ وَغَمِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[1]، فَلِذِكرِ اللهِ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي حُصُولِ هَذَا المَطلُوبِ لِخَاصِّيَّتِهِ، وَلِمَا يَرجُوهُ العَبدُ مِن ثَوَابِهِ وَأَجرِهِ.

6 ـ وَكَذَلِكَ **التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، فَإِنَّ مَعرِفَتَهَا وَالتَّحَدُّثَ بِهَا يَدفَعُ اللهُ بِهِ الهَمَّ وَالغَمَّ**، وَيَحُثُّ العَبدَ عَلَى الشُّكرِ الَّذِي هُوَ أَرفَعُ المَرَاتِبِ وَأَعلاهَا، حَتَّى وَلَو[2] كَانَ العَبدُ فِي حَالَةِ فَقرٍ أَو مَرَضٍ أَو غَيرِهِمَا مِن أَنوَاعِ البَلَايَا، فَإِنَّهُ إِذَا قَابَلَ بَينَ نِعَمِ اللهِ عَلَيهِ - الَّتِي لَا يُحصَى لَهَا عَدٌّ وَلَا حِسَابٌ - وَبَينَ مَا أَصَابَهُ مِن مَكرُوهٍ، لَم يَكُن لِلمَكرُوهِ إِلَى النِّعَمِ نِسبَةٌ.

بَل المَكرُوهُ وَالمَصَائِبُ إِذَا ابتَلَى اللهُ بِهَا العَبدَ، وَأَدَّى فِيهَا وَظِيفَةَ الصَّبرِ وَالرِّضَى وَالتَّسلِيمِ، هَانَت وَطأَتُهَا، وَخَفَّت مُؤنَتُهَا، وَكَانَ تَأمِيلُ العَبدِ لِأَجرِهَا وَثَوَابِهَا وَالتَّعَبُّدُ للهِ بِالقِيَامِ بِوَظِيفَةِ الصَّبرِ وَالرِّضَى، يَدَعُ الأَشيَاءَ المُرَّةَ حُلوَةً فَتُنسِيهِ حَلَاوَةُ أَجرِهَا مَرَارَةَ صَبرِهَا.

7 ـ وَمِن أَنفَعِ الأَشيَاءِ فِي هَذَا المَوضِعِ استِعمَالُ مَا أَرشَدَ إِلَيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَيثُ قَالَ: " **انظُرُوا إِلَى مَن هُوَ أَسفَلَ مِنكُم وَلَا تَنظُرُوا إِلَى مَن هُوَ فَوقَكُم فَإِنَّهُ أَجدَرُ أَن لَا تَزدَرُوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم** "[3]، فَإِنَّ العَبدَ إِذَا نَصَبَ بَينَ عَينَيهِ هَذَا المَلحَظَ الجَلِيلَ، رَآهُ يَفُوقُ قَطعًا[4] كَثِيراً مِنَ الخَلقِ؛

فِي العَافِيَةِ وَتَوَابِعِهَا.

وَفِي الرِّزقِ وَتَوَابِعِهِ مَهمَا بَلَغَت بِهِ الحَالُ.

فَيَزُولُ قَلَقُهُ وَهَمُّهُ وَغَمُّهُ، وَيَزدَادُ سُرُورُهُ وَاغتِبَاطُهُ بِنِعَمِ اللهِ الَّتِي فَاقَ فِيهَا غَيرَهُ مِمَّن هُوَ دُونَهُ فِيهَا.

وَكُلَّمَا طَالَ تَأَمُّلُ العَبدِ بِنِعَمِ اللهِ؛

الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ.

الدِّينِيَّةِ وَالدُّنيَوِيَّةِ.

رَأَى رَبَّهُ قَد أَعطَاهُ خَيراً كَثِيراً وَدَفَعَ عَنهُ شُرُوراً مُتَعَدِّدَةً، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا يَدفَعُ الهُمُومَ وَالغُمُومَ، وَيُوجِبُ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ.

---

1 [الرعد:28].

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي " **لو**".

3 رواه البخاري (6490)، ومسلم(2963) واللفظ له **عن أبي هريرة رضي الله عنه**.

4 في طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " **جمعا** ".

فَصـلٌ

8 ــ وَمِنَ الأَسبَابِ المُوجِبَةِ لِلسُّرُورِ وَزَوَالِ الهَمِّ وَالغَمِّ: السَّعيُ فِي إِزَالَةِ الأَسبَابِ الجَالِبَةِ لِلهُمُومِ، وَفِي تَحصِيلِ الأَسبَابِ الجَالِبَةِ لِلسُّرُورِ، وَذَلِكَ:

بِنسيَانِ مَا مَضَى عَلَيهِ مِنَ المَكَارِهِ الَّتِي لاَ يُمكِنُهُ رَدُّهَا؛ وَمَعرِفَتِهِ أَنَّ اشتِغَالَ فِكرِهِ فِيهَا مِن بَابِ العَبَث وَالمُحَالِ، وَأَنَّ ذَلِكَ حُمقٌ وَجُنونٌ، فَيُجَاهِدُ قَلبَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِيهَا.

وَكَذَلِكَ يُجَاهِدُ قَلبَهُ عَن قَلَقِهِ لِمَا يَستَقبِلُهُ؛ مِمَّا يَتَوهَّمُهُ مِن فَقرٍ أَو خَوفٍ، أَو غَيرِهِمَا مِنَ المَكَارِهِ الَّتِي يَتَخَيَّلُهَا فِي مُستَقبَلِ حَيَاتِهِ.

فَيَعلَمَ أَنَّ الأُمُورَ المُستَقبَلَةَ؛

مَجهُولٌ مَا يَقَعُ فِيهَا مِن خَيرٍ وَشَرٍّ وَآمَالٍ وَآلاَمٍ.

وَأَنَّهَا بِيَدِ العَزِيزِ الحَكِيمِ.

لَيسَ بِيَدِ العِبَادِ مِنهَا شَيءٌ، إِلاَّ السَّعيُ فِي تَحصِيلِ خَيرَاتِهَا، وَدَفعِ مَضَرَّاتِهَا.

وَيَعلَمَ العَبدُ أَنَّهُ؛

إِذَا صَرَفَ فِكرَهُ عَن قَلَقِهِ مِن أَجلِ مُستَقبَلِ أَمرِهِ.

وَاتَّكَلَ عَلَى رَبِّهِ فِي إِصلاَحِهِ، وَاطمَأَنَّ إِلَيهِ فِي ذَلِكَ.

إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ اطمَأَنَّ قَلبُهُ وَصَلَحَت أَحوَالُهُ، وَزَالَ عَنهُ هَمُّهُ وَقَلَقُهُ.

9 ــ وَمِن أَنفَعِ مَا يَكُونُ فِي مُلاَحَظَةِ مُستَقبَلِ الأُمُورِ؛

استِعمَالُ هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَدعُو بِهِ: " **اللَّهُمَّ أَصلِح لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصمَةُ أَمرِي.**

وَأَصلِح لِي دُنيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي.

وَأَصلِح لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيهَا مَعَادِي.

وَاجعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيرٍ.

وَالمَوتَ رَاحَةً لِي مِن كُلِّ شَرٍّ "[1].

وَكَذَلِكَ قَولُهُ: " **اللَّهُمَّ رَحمَتَكَ أَرجُو فَلاَ تَكِلنِي إِلَى نَفسِي طَرفَةَ عَينٍ، وَأَصلِح لِي شَأنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ** "[2].

فَإِذَا؛

ـ لَهِجَ العَبدُ بِهَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي فِيهِ صَلاَحُ مُستَقبَلِهِ الدِّينِيِّ وَالدُّنيَوِيِّ.

---

1 رواه مسلم (2720) **عن أبي هريرة رضي الله عنه.**

2 رواه أحمد (20430) وأبو داود (5090) **من حديث أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ** وحسّنه العلامة الألباني كما في صحيح أبي داود (5090) وصحيح الأدب المفرد (701) وتخريج الكلم الطيب (121)، وحسنه كذلك العلامة ابن باز كما في تحفة الأخيار صفحة 24.

ـ بِقَلبٍ حَاضِرٍ.
ـ وَنِيَّةٍ صَادِقَةٍ.
ـ مَعَ اجتِهَادِهِ فِيمَا يُحَقِّقُ ذَلِكَ.
حَقَّقَ اللهُ لَهُ مَا دَعَاهُ وَرَجَاهُ وَعَمِلَ لَهُ، وَانقَلَبَ هَمُّهُ فَرَحاً وَسُرُوراً.

فَصْــلٌ

10 ـ وَمِن أَنفَعِ الأَسبَابِ لِزَوَالِ القَلَقِ وَالهُمُومِ إِذَا حَصَلَ عَلَى العَبدِ مِنَ النَّكَبَاتِ:
أَن يَسعَى فِي تَخفِيفِهَا؛ بِأَن يُقَدِّرَ أَسوَأَ الاحتِمَالاَتِ الَّتِي يَنتَهِي إِلَيهَا الأَمرُ.
وَيُوَطِّنَ عَلَى ذَلِكَ نَفسَهُ.

فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ، فَلْيَسعَ إِلَى تَخفِيفِ مَا يُمكِنُ تَخفِيفُهُ بِحَسَبِ الإِمكَانِ، فَبِهَذَا التَّوطِينِ وَبِهَذَا السَّعيِ النَّافِعِ، تَزُولُ هُمُومُهُ وَغُمُومُهُ، وَيَكُونُ بَذَلَ ذَلِكَ السَّعيَ فِي جَلبِ المَنَافِعِ، وَفِي دَفعِ[1] المَضَارِّ المَيسُورَةِ لِلعَبدِ.

فَإِذَا حَلَّت بِهِ؛ أَسبَابُ الخَوفِ، وَأَسبَابُ الأَسقَامِ، وَأَسبَابُ الفَقرِ وَالعَدَمِ لِمَا يُحِبُّهُ مِنَ المَحبُوبَاتِ المُتَنَوِّعَةِ، فَلْيَتَلَقَّ ذَلِكَ؛

ـ بِطُمَأنِينَةٍ وَتَوطِينٍ لِلنَّفسِ عَلَيهَا، بَل عَلَى أَشَدَّ مَا يُمكِنُ مِنهَا، فَإِنَّ تَوطِينَ النَّفسِ عَلَى احتِمَالِ المَكَارِهِ، يُهَوِّنُهَا وَيُزِيلُ شِدَّتَهَا، وَخُصُوصاً إِذَا أَشغَلَ نَفسَهُ بِمُدَافَعَتِهَا بِحَسَبِ مَقدُورِهِ، فَيَجتَمِعُ فِي حَقِّهِ:

تَوطِينُ النَّفسِ.
مَعَ السَّعيِ النَّافِعِ.
الَّذِي يُشغِلُ عَنِ الاهتِمَامِ بِالمَصَائِبِ.

ـ وَيُجَاهِدَ نَفسَهُ عَلَى تَجدِيدِ قُوَّتِهِ المُقَاوِمَةِ لِلمَكَارِهِ.
ـ مَعَ اعتِمَادِهِ فِي ذَلِكَ عَلَى اللهِ وَحُسنِ الثِّقَةِ بِهِ.

وَلاَ رَيبَ أَنَّ لِهَذِهِ الأُمُورِ فَائِدَتَهَا العُظمَى فِي حُصُولِ السُّرُورِ وَانشِرَاحِ الصُّدُورِ، مَعَ مَا يُؤَمِّلُهُ العَبدُ مِنَ الثَّوَابِ العَاجِلِ وَالآجِلِ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ مُجَرَّبٌ، وَوَقَائِعُهُ مِمَّن جَرَّبَهُ كَثِيرَةٌ جِدّاً.

---

1 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي " **رفع**".

فَصـلٌ

11 ـ وَمِن أَعظَمِ العِلاَجَاتِ لِأَمرَاضِ القَلبِ العَصَبِيَّةِ، بَل وَأَيضاً لِلأَمرَاضِ البَدَنِيَّةِ: قُوَّةُ القَلبِ وَعَدَمُ انزِعَاجِهِ وَانفِعَالِهِ لِلأَوهَامِ وَالخَيَالاَتِ الَّتِي تَجلِبُهَا الأَفكَارُ السَّيِّئَةُ، لِأَنَّ الإِنسَانَ مَتَى اِستَسلَمَ لِلخَيَالاَتِ، وَانفَعَلَ قَلبُهُ لِلمُؤَثِّرَاتِ؛ مِنَ الخَوفِ مِنَ الأَمرَاضِ وَغَيرِهَا، وَمِنَ الغَضَبِ وَالتَّشَوُّشِ مِنَ الأَسبَابِ المُؤلِمَةِ، وَمِن تَوَقُّعِ حُدُوثِ المَكَارِهِ وَزَوَالِ المَحَابِّ، أَوقَعَهُ ذَلِكَ فِي الهُمُومِ وَالغُمُومِ وَالأَمرَاضِ القَلبِيَّةِ وَالبَدَنِيَّةِ، وَالِانهِيَارِ العَصَبِيِّ الَّذِي لَهُ آثَارُهُ السَّيِّئَةُ، الَّتِي قَد شَاهَدَ النَّاسُ مَضَارَّهَا الكَثِيرَةَ.

12 ـ وَمَتَى؛

اعتَمَدَ القَلبُ عَلَى اللهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَيهِ.

وَلَم يَستَسلِم لِلأَوهَامِ، وَلاَ مَلَكَتهُ الخَيَالاَتُ السَّيِّئَةُ.

وَوَثِقَ بِاللهِ وَطَمِعَ فِي فَضلِهِ.

اندَفَعَت عَنهُ بِذَلِكَ الهُمُومُ وَالغُمُومُ، وَزَالَت عَنهُ كَثِيرٌ مِنَ الأَسقَامِ البَدَنِيَّةِ وَالقَلبِيَّةِ.

وَحَصَلَ لِلقَلبِ مِنَ القُوَّةِ وَالِانشِرَاحِ وَالسُّرُورِ، مَا لاَ يُمكِنُ التَّعبِيرُ عَنهُ.

فَكَم مُلِئَت المُستَشفَيَاتُ مِن مَرضَى الأَوهَامِ وَالخَيَالاَتِ الفَاسِدَةِ، وَكَم أَثَّرَت هَذِهِ الأُمُورُ عَلَى قُلُوبِ كَثِيرِينَ مِنَ الأَقوِيَاءِ، فَضلاً عَنِ الضُّعَفَاءِ، وَكَم أَدَّت إِلَى الحُمقِ وَالجُنُونِ، وَالمُعَافَى مَن عَافَاهُ اللهُ، وَوَفَّقَهُ لِجِهَادِ نَفسِهِ لِتَحصِيلِ الأَسبَابِ النَّافِعَةِ المُقَوِّيَةِ لِلقَلبِ، الدَّافِعَةِ لِقَلَقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾[1]،أَي كَافِيهِ جَمِيعَ مَا يُهِمُّهُ مِن أَمرِ دِينِهِ وَدُنيَاه.

فَالمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ قَوِيُّ القَلبِ لاَ تُؤَثِّرُ فِيهِ الأَوهَامُ، وَلاَ تُزعِجُهُ الحَوَادِثُ؛

لِعِلمِهِ أَنَّ ذَلِكَ مِن ضَعفِ النَّفسِ، وَمِنَ الخَوَرِ وَالخَوفِ الَّذِي لاَ حَقِيقَةَ لَهُ.

وَيَعلَمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ قَد تَكَفَّلَ لِمَن تَوَكَّلَ عَلَيهِ بِالكِفَايَةِ التَّامَّةِ.

فَيَثِقُ بِاللهِ وَيَطمَئِنُّ لِوَعدِهِ، فَيَزُولُ هَمُّهُ وَقَلَقُهُ، وَيَتَبَدَّلُ عُسرُهُ يُسراً، وَتَرَحُهُ[2] فَرَحاً، وَخَوفُهُ أَمناً.

فَنَسأَلُهُ تَعَالَى العَافِيَةَ وَأَن يَتَفَضَّلَ عَلَينَا بِقُوَّةِ القَلبِ وَثَبَاتِهِ، وَبِالتَّوَكُّلِ الكَامِلِ الَّذِي تَكَفَّلَ اللهُ لِأَهلِهِ بِكُلِّ خَيرٍ، وَدَفعِ كُلِّ مَكرُوهٍ وَضَيرٍ[3].

---

1 [الطلاق:3].

2 الترح: هو الحزن.

3 الضير: هو الضرر.

فَصلٌ

13 ـ وَفي قولِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: " **لاَ يَفرَكْ مُؤمِنٌ مُؤمِنَةً، إن كَرِهَ مِنهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنهَا خُلُقاً آخَرَ** "[1]، فَائِدتَانِ عَظِيمَتَانِ:

أ/ـ إحدَاهُمَا: الإرْشَادُ إِلَى مُعَامَلَةِ الزَّوجَةِ وَالقَرِيبِ وَالصَّاحِبِ وَالعَامِلِ[2]، وَكُلِّ مَن بَينَكَ وَبَينَهُ عَلاَقَةٌ وَاتِّصَالٌ، وَأَنَّهُ يَنبَغِي أَن تُوَطِّنَ نَفسَكَ عَلَى أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَن يَكُونَ فِيهِ عَيبٌ أَو نَقصٌ أَو أَمرٌ تَكرَهُهُ، فَإِذَا وَجدتَّ ذَلِكَ، فَقَارِن بَينَ هَذَا وَبَينَ مَا يَجِبُ عَلَيكَ، أَو يَنبَغِي لَكَ مِن قُوَّةِ الاِتِّصَالِ وَالإِبقَاءِ عَلَى المَحَبَّةِ، بِتَذَكُّرِ مَا فِيهِ مِنَ المَحَاسِنِ، وَالمَقَاصِدِ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ، وَبِهَذَا الإِغضَاءِ عَنِ المَسَاوِئِ وَمُلاَحَظَةِ المَحَاسِنِ، تَدُومُ الصُّحبَةُ وَالاتِّصَالُ وَتَتِمُّ الرَّاحَةُ وَتَحصُلُ لَكَ.

ب/ـ الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ زَوَالُ الهَمِّ وَالقَلَقِ، وَبَقَاءُ الصَّفَاءِ، وَالمُدَاوَمَةُ عَلَى القِيَامِ بِالحُقُوقِ الوَاجِبَةِ وَالمُستَحَبَّةِ، وَحُصُولُ الرَّاحَةِ بَينَ الطَّرَفَينِ.

وَمَن لَم يَستَرشِد بِهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - بَل عَكَسَ القَضِيَّةَ فَلَحَظَ المَسَاوِئَ، وَعَمِيَ عَنِ المَحَاسِنِ-؛

فَلاَبُدَّ أَن يَقلَقَ.

وَلاَبُدَّ أَن يَتَكَدَّرَ مَا بَينَهُ وَبَينَ مَن يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ المَحَبَّةِ.

وَيَتَقَطَّعَ كَثِيرٌ مِنَ الحُقُوقِ الَّتِي عَلَى كُلٍّ مِنهُمَا المُحَافَظَةُ عَلَيهَا.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ذَوِي الهِمَمِ العَالِيَةِ، يُوَطِّنُونَ أَنفُسَهُم عِندَ وُقُوعِ الكَوَارِثِ وَالمُزعِجَاتِ عَلَى الصَّبرِ وَالطُّمَأنِينَةِ، ولَكِن[3] عِندَ الأُمُورِ التَّافِهَةِ البَسِيطَةِ يَقلَقُونَ، وَيَتَكَدَّرُ الصَّفَاءُ، وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّهُم وَطَّنُوا نُفُوسَهُم عِندَ الأُمُورِ الكِبَارِ، وَتَرَكُوهَا عِندَ الأُمُورِ الصِّغَارِ، فَضَرَّتهُم وَأَثَّرَت فِي رَاحَتِهِم.

فَالحَازِمُ يُوَطِّنُ نَفسَهُ عَلَى الأُمُورِ القَلِيلَةِ وَالكَبِيرَةِ وَيَسأَلُ اللهَ الإِعَانَةَ عَلَيهَا، وَأَن لاَ يَكِلَهُ إِلَى نَفسِهِ طَرفَةَ عَينٍ، فَعِندَ ذَلِكَ يَسهُلُ عَلَيهِ الصَّغِيرُ، كَمَا سَهُلَ عَلَيهِ الكَبِيرُ، وَيَبقَى مُطمَئِنَّ النَّفسِ سَاكِنَ القَلبِ مُستَرِيحاً.

---

1 رواه مسلم (1469) **من حديث أبي هريرة.**

2 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " **المعامل**".

3 في الطبعة التي ضمن مجموع مؤلفات ابن سعدي، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " **لكن**".

فَصلٌ

14 ـ العَاقِلُ يَعلَمُ أَنَّ حَيَاتَهُ الصَّحِيحَةَ حَيَاةُ السَّعَادَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَأَنَّهَا قَصِيرَةٌ جِدّاً، فَلاَ يَنبَغِي لَهُ أَن يُقَصِّرَهَا بِالهَمِّ وَالِاستِرسَالِ مَعَ الأَكدَارِ، فَإِنَّ ذَلِكَ ضِدُّ الحَيَاةِ الصَّحِيحَةِ، فَيَشِحُّ[1] بِحَيَاتِهِ أَن يَذهَبَ كَثِيرٌ مِنهَا نَهباً لِلهُمُومِ وَالأَكدَارِ، وَلاَ فَرقَ فِي هَذَا بَينَ البَرِّ وَالفَاجِرِ، وَلَكِنَّ المُؤمِنَ لَهُ مِنَ التَّحَقُّقِ بِهَذَا الوَصفِ الحَظُّ الأَوفَرُ، وَالنَّصِيبُ النَّافِعُ العَاجِلُ وَالآجِلُ.

15 ـ وَيَنبَغِي أَيضاً إِذَا أَصَابَهُ مَكرُوهٌ أَو خَافَ مِنهُ:

أَن يُقَارِنَ بَينَ بَقِيَّةِ النِّعَمِ الحَاصِلَةِ لَهُ دِينِيَّةٍ أَو دُنيَوِيَّةٍ، وَبَينَ مَا أَصَابَهُ مِن مَكرُوهٍ، فَعِندَ المُقَارَنَةِ يَتَّضِحُ كَثرَةُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَاضمِحلاَلِ مَا أَصَابَهُ مِنَ المَكَارِهِ.

وَكَذَلِكَ يُقَارِنُ بَينَ مَا يَخَافُهُ مِن حُدُوثِ ضَرَرٍ عَلَيهِ، وَبَينَ الِاحتِمَالاَتِ الكَثِيرَةِ فِي السَّلاَمَةِ مِنهَا، فَلاَ يَدَعُ الِاحتِمَالَ الضَّعِيفَ يَغلِبُ الِاحتِمَالاَتِ الكَثِيرَةِ القَوِيَّةِ.

وَبِذَلِكَ يَزُولُ هَمُّهُ وَخَوفُهُ.

وَيُقَدِّرُ أَعظَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الِاحتِمَالاَتِ الَّتِي يُمكِنُ أَن تُصِيبَهُ.

فَيُوَطِّنُ نَفسَهُ لِحُدُوثِهَا إِن حَدَثَت.

وَيَسعَى؛ فِي دَفعِ مَا لَم يَقَع مِنهَا.

وَفِي رَفعِ[2] مَا وَقَعَ أَو تَخفِيفِهِ.

16 ـ وَمِنَ الأُمُورِ النَّافِعَةِ: **أَن تَعرِفَ أَنَّ أَذِيَّةَ النَّاسِ لَكَ وَخُصُوصاً فِي الأَقوَالِ السَّيِّئَةِ، لاَ تَضُرُّكَ بَل تَضُرُّهُم، إِلاَّ إِن أَشغَلتَ نَفسَكَ فِي الِاهتِمَامِ بِهَا**، وَسَوَّغتَ لَهَا أَن تَملِكَ مَشَاعِرَكَ، فَعِندَ ذَلِكَ تَضُرُّكَ كَمَا ضَرَّتهُم، فَإِن أَنتَ لَم تُصغِ[3] لَهَا بَالاً لَم تَضُرَّكَ شَيئاً.

---

1 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الرزاق البدر "**يشع**"؟!.

2 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الرزاق "**دفع** "؟!.

3 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " **تضع** ".

17 ــ وَاعلَم أَنَّ حيَاتَكَ تَبَعٌ لأَفكَارِكَ، فَإِن كَانَت أَفكَاراً فِيمَا يَعُودُ عَلَيكَ نَفعُهُ فِي دِينٍ أَو دُنيَا، فَحَيَاتُكَ طَيِّبَةٌ سَعِيدَةٌ، وَإِلاَّ فَالأَمرُ بِالعَكسِ.

18 ــ وَمِن أَنفَعِ الأُمُورِ لِطَردِ الهَمِّ: **أَن تُوَطِّنَ نَفسَكَ عَلَى أَن لاَ تَطلُبَ الشُّكرَ إِلاَّ مِنَ اللهِ**، فَإِذَا أَحسَنتَ إِلَى مَن لَهُ حَقٌّ عَلَيكَ أَو مَن لَيسَ لَهُ حَقٌّ، فَاعلَم أَنَّ هَذَا مُعَامَلَةٌ مِنكَ مَعَ اللهِ، فَلاَ تُبَالِ بِشُكرِ مَن أَنعمتَ عَلَيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ خَوَاصِّ خَلقِهِ: **﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾**[1].

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا فِي مُعَامَلَةِ الأَهلِ وَالأَولاَدِ وَمَن قَوِيَ اتِّصَالُكَ بِهِم، فَمَتَى وَطَّنتَ نَفسَكَ عَلَى إِلقَاءِ الشَّرِّ عَنهُم، فَقَد أَرَحتَ وَاستَرَحتَ.

وَمِن دَوَاعِي الرَّاحَةِ: أَخذُ الفَضَائِلِ، وَالعَمَلُ عَلَيهَا بِحَسَبِ الدَّاعِي النَّفسِي دُونَ التَّكَلُّفِ الَّذِي يُقلِقُكَ، وَتَعُودُ عَلَى أَدرَاجِكَ خَائِباً مِن حُصُولِ الفَضِيلَةِ، حَيثُ سَلَكتَ الطَّرِيقَ المُلتَوِيَ، وَهَذَا مِنَ الحِكمَةِ.

وَأَن تَتَّخِذَ مِنَ الأُمُورِ الكَدِرَةِ أُمُوراً صَافِيَةٍ حُلوَةٍ وَبِذَلِكَ يَزِيدُ صَفَاءُ اللَّذَّاتِ، وَتَزُولُ الأَكدَارُ.

19 ــ اِجعَلِ الأُمُورَ النَّافِعَةِ نَصبَ عَينَيكَ وَاعمَل عَلَى تَحقِيقِهَا.
وَلاَ تَلتَفِت إِلَى الأُمُورِ الضَّارَّةِ، لِتَلهُوَ بِذَلِكَ عَنِ الأَسبَابِ الجَالِبَةِ لِلهَمِّ وَالحَزَنِ.
وَاستَعِن بِالرَّاحَةِ وَإِجمَامِ[2] النَّفسِ عَلَى الأَعمَالِ المُهِمَّةِ.

20 ــ وَمِنَ الأُمُورِ النَّافِعَةِ: **حَسمُ الأَعمَالِ فِي الحَالِ، وَالتَّفَرُّغُ فِي المُستَقبَلِ**، لِأَنَّ الأَعمَالَ إِذَا لَم تُحسَم اجتَمَعَ عَلَيكَ بَقِيَّةُ الأَعمَالِ السَّابِقَةِ، وَانضَافَت إِلَيهَا الأَعمَالُ اللاَّحِقَةُ، فَتَشتَدُّ وَطأَتُهَا، **فَإِذَا حَسَمتَ كُلَّ شَيءٍ بِوَقتِهِ، أَتَيتَ الأُمُورَ المُستَقبَلَةَ بِقُوَّةِ تَفكِيرٍ وَقُوَّةِ عَمَلٍ.**

21 ــ وَيَنبَغِي أَن تَتَخَيَّرَ مِنَ الأَعمَالِ النَّافِعَةِ الأَهَمَّ فَالأَهَمَّ.
وَمَيِّز بَينَ مَا تَمِيلُ نَفسُكَ إِلَيهِ وَتَشتَدُّ رَغبَتُكَ فِيهِ، فَإِنَّ ضِدَّهُ يُحدِثُ السَّآمَةَ وَالمَلَلَ وَالكَدَرَ.
وَاستَعِن عَلَى ذَلِكَ بِالفِكرِ الصَّحِيحِ وَالمُشَاوَرَةِ، فَمَا نَدِمَ مَنِ استَشَارَ.
وَادرُس مَا تُرِيدُ فِعلَهُ دَرساً دَقِيقاً.
فَإِذَا: تَحَقَّقتَ المَصلَحَةَ.
وَعَزَمتَ.
فَتَوَكَّل عَلَى اللهِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ.

---

1 [الإنسان:9].

2 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الرزاق، وكذا الشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله، وطبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف " **إجماع** "؟!.

تَمَّت هَذِهِ الرِّسَالَةُ
وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا[1] مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

1 في الطبعة التي باعتناء الشيخ عبد الرزاق "**نبيِّنا** ".

القَصِيدَةُ

نَظمُ الوَسَائِلِ المُفِيدَةِ لِلحَيَاةِ السَّعِيدَةِ

لِلشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ نَجَاحٍ آل طَاجِن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَقُولُ وَكُلُّ الحَمدِ لِلَّهِ كَائِنٌ	[1]	وَخَيرُ صَلَاتِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
وَآلٍ وَأَصحَابٍ وَأَتبَاعِ سُنَّةٍ	[2]	لِيَومِ قِيَامِ النَّاسِ لِلَّهِ فِي غَدِ
وَبَعدُ فَهَذَا نَظمُ بَعضِ وَسَائِلٍ	[3]	نَنَالُ بِهَا سَعدًا عَظِيمًا وَنَهتَدِي
لِعَالِمِنَا (السَّعدِيِّ) مَن كَانَ أُمَّةً	[4]	فَيَا رَبَّنَا ارحَمهُ، وَلِلحَوضِ أَورِدِ
وَمُنَّ بِتَيسِيرٍ وَنَظمٍ مُوَفَّقٍ	[5]	وَخَلِّص مِنَ الإِشرَاكِ فِعلِي وَمَقصَدِي
وَأَعظَمُ أَسبَابِ السَّعَادَةِ مُنجَلٍ	[6]	بِإِيمَانِنَا المَعقُودِ دُونَ تَرَدُّدِ

وَثوبَ التُّقَى وَالبِرِّ وَالخَيرِ دَائِمًا [7] وَصَالِحِ أَعمَالٍ وَأَفعَالٍ ارتَدِ

وَذَلِكَ أَنَّ المُؤمِنِينَ لَهُم هُدًى [8] بِهِ مُيِّزُوا عَن كُلِّ عَاصٍ وَمُعتَدِي

فَعِندَ النَّدَى شُكرٌ وَفِي الضُّرِّ صَابِرٌ [9] فَذَاكَ صِرَاطٌ لِلتَّقِيِّ المُوَحِّدِ

وَإِحسَانُنَا لِلخَلقِ يُورِثُ بَهجَةً [10] فَأَحسِن إِلَى كُلِّ البَرِيَّةِ تَسعَدِ

وَبِالعِلمِ وَالفِعلِ الَّذِي سَارَ نَافِعًا [11] أَلَا فَاشتَغِل تُذهِب هُمُومًا وَتَطرُدِ

وَلَا سِيَّمَا إِن كَانَ أَمرًا مُحَبَّبًا [12] فَذَلِكُمُ أَدعَى لِطَردِ المُنَكِّدِ

وَفِكرَكَ فَاجمَعهُ بِحَالٍ وَحَاضِرٍ [13] وَلَا تَكُ مَشغُولًا بِمَاضٍ وَلَا الغَدِ

فَلَا أَنتَ مُستَطِيعٌ لِإِرجَاعِ فَائِتٍ [14] وَلَا أَنتَ ذُو عِلمٍ بِآتٍ وَمُورَدِ

وَرَبَّكَ فَاذكُر بُكرَةً وَعَشِيَّةً [15] تَنَل ذِكرَهُ فَوقَ السَّمَا وَتُحَمَّدِ

بِنِعمَةِ مَولَانَا تَحَدَّث تَحَدُّثًا [16] فَذَلِكَ هَادٍ لِلصِّرَاطِ المُمَجَّدِ

لِمَن دُونَكَ انظُر دُونَ مَن هُوَ أَرفَعٌ [17] لِمَا جَاءَ فِي نَصِّ الحَدِيثِ المُحَمَّدِي

وَأَسبَابَ هَمٍّ فَلتُزِلهَا مُحَصِّلًا [18] لِأَسبَابِ إِبهَاجٍ وَمِنهَا تَزَوَّدِ

فَتَنسَى الَّذِي قَد فَاتَ إِذ لَستَ قَادِرًا [19] عَلَى رَدِّهِ فَاحذَر سَبِيلَ التَّبَلُّدِ

وَإِنَّ دُعَاءَ اللهِ أَرجَى مُسَلِّمٍ [20] مِنَ الهَمِّ وَالأَحزَانِ وَالغَمِّ فَاقصِدِ

وَأَسوَا احتِمَالَاتٍ أَلَا كُن مُقَدِّرًا [21] يَخِفُّ عَلَيكَ الإِبتِلَاءُ إِذَا ابتُدِي

وَقَلبَكَ - يَا هَذَا- فَقَوِّ تَحُز رِضًا [22] وَلَا تَنزَعِج بِالوَهمِ أَو تَتَنَكَّدِ

عَلَى اللهِ مَولَانَا تَوَكَّل تَوَكُّلًا [23] فَمَن رَبَّهُ يَقصِد يُوَفَّق وَيَرشُدِ

تَحَمَّل عُيُوبَ الآخَرِينَ مُوَطِّنًا [24] عَلَى ذَلِكَ النَّفسَ الزَّكِيَّةَ تَرغَدِ

وَعُمرُكَ مَحدُودٌ قَصِيرٌ وَمُنتَهٍ [25] فَلَا تُفنِهِ فِي الهَمِّ دَومًا تُسَدَّدِ

وَبَينَ النَّدَى وَالشَّرِّ قَارِن مُلَاحِظًا [26] فَضَائِلَ رَبِّ العَرشِ وَالفَضلِ تَهتَدِ

أَذَى النَّاسِ مَردُودٌ عَلَيهِم حَقِيقَةً [27] وَلَكِن إِذَا تُشغِل بِهِ النَّفسَ تَبعُدِ

بِنَافِعِ أَفكَارٍ -أَخِي- كُن مُطَيِّبًا [28] حَيَاتَكَ تَنسَ الهَمَّ حَتمًا وَتُحمَدِ

وَلِلَّهِ لَا لِلخَلقِ عَامِل مُخَلِّصًا [29] مُرَادَكَ لِلرَّحمَنِ رَبِّي وَسَيِّدِي

وَأَعمَالَكَ احسِمهَا بِأَنَّكَ عَاجِلًا [30] وَلَا لَا تُؤَجِّل فِعلَ يَومٍ إِلَى غَدِ

وَرتِّب - هُدِيتَ- الأَولَوِيَّاتِ مُطلَقًا [31] وَبِالحَمدِ وَالتَّسلِيمِ أُنهِي وَأَبتَدِي

الخَـــاتِمَـــــةُ

وفي ختام هذه الرِّسالةِ الطَّيِّبةِ أزفُّ بُشرى مِن مِشكاةِ الوَحيين لِمَن صَبر عَلى ما أصابه مِن حُزنٍ وغَمٍّ وهَمٍّ واحتَسَبَ[1]؛

1ــ الأُولى:

قَولُه تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ، الآية: 120] .

2ــ الثَّانية:

عن أبي سعيد وأبي هريرة أنَّهما سمعا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول:

مَا يُصِيبُ الْمُسْـلِمَ مِن؛ نَـصَبٍ، وَلاَ وَصَـبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حَزَنٍ، وَلاَ أَذًى، وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِن خَطَايَاهُ.

رواه البخاري (5641)(5642)

ولفظُ مسلم (2573):

مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِن؛ وَصَبٍ، وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ سَقَمٍ، وَلاَ حَزَنٍ، حَتَّى الهَـمَّ يَهُمُّهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِن سَيِّئَاتِهِ.

1 لقولِه صلَّى الله عليه وسلَّم:" **لا أجرَ لِمَن لاَ حِسبَةَ لَهُ** "، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (2415).

فهرس المحتويات

الصَّفحَة	المَوضُوعَات
7-5	المُقدّمة
20-11	التَّعريف بِالمؤلّف
33-22	التَّعريف بِالمؤلّف
49-35	الوَسَائِلِ المُفِيدَةِ لِلحَيَاةِ السَّعِيدَةِ
55-51	القَصِيدَةُ نَظمُ الوَسَائِلِ المُفِيدَةِ لِلحَيَاةِ السَّعِيدَةِ
57	الخَاتِمة